نبيل فياض



مراثي اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى

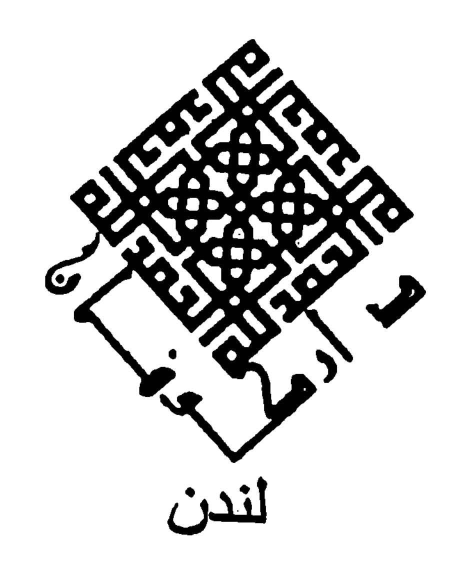
إصدارات دار كوفان البريطانية للطباعة والنشر والتوزيع

1- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث د. علي الوردي 1992
2- ديوان أبي طالب / د.عبد الحق العاني 1992.
3- شخصيات ناقدة / عبد اللطيف الشواف 1993.
4- منطق ابن خلدون/ د. علي الوردي 1994.
5- أسطورة الأدب الرفيع / د. علي الوردي 1994.
6- مهزلة العقل البشري/ د. علي الوردي 1994.
7- الأحلام بين العلم والعقيدة / علي الوردي 1994.
8- مدخل إلى المقام العراقي / ماجد ناجي شبر.1995
9- الأدب الشعبي العراقي/ ماجد ناجي شبر 1995.
10- وعاظ السلاطين/ د. علي الوردي 1995.
11- مذكرات مستر همفر/ 2010.
12- تعلم الإسلام في خمسة أيام/ نبيل فياض 2011
13- (قريبا) كمشة بدو / نبيل فياض

مراثي اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى
نبيل فياض
الطبعة الخامسة 2011
دار كوفان- لندن

نبيل فياض

مراثي اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى



لندن

مدخل تعريفي:

مراثي اللات والعزّى... ومناة الثالثة الأخرى،

عمل «غير تقليدي» في شكله ومضمونه: كتب على مدى أربع سنوات من أفكار سامة كانت تهرب إلى الرأس في أوقات غير سهلة. ثم أضيف إليها مقدمتان لكتابي الهاجريون ويوم انحدر الجمل من السقيفة، وجدنا أنها أكثر انسجاما مع المراثي من غيرها. وآثرنا ألا نعدّل أو نغيّر شيئاً—كل فكرة تصبح ملك اللحظة، واللحظة هي جزء من أبدية؛ حتى وإن تكرّرت بضع أفكار بين صفحة وأخرى.

نبيل فياض

جونيه ٢٠٠٢\٨\١٥

مقدمة

هذا كتاب مجنون شكلاً وموضوعاً: وفي عالمنا الذي يعيش كطفيلي على تخوم الجنون - ماذا يفيد العقل؟ هذا كتاب لن يعجب أحداً: ما همنّي إذا أعجب أو لم يعجب - ما يهمنّي هو أن أقول ما أحس به! كلهم يعاتبونني كوني أمضي الصفحات متنقلا من بحث إلى بحث، ومن محاضرة موضوعيّة إلى محاضرة موضوعيّة أخرى، لكني لم أكتب يوما ما أؤمن به، لم أقدّم ذاتي في عمل يختصر الذات: وكان بعضهم يعزو ذلك إلى نوع من الجبن متأصل في - وهذا غير صحيح. لم أقدّم ذاتي لأني لم أشعر يوما أن هنالك من يستأهل أن يقرأ ذاتي، خاصّة في سوريّا، كعبة الوثنية الجديدة، البلد الذي لم يعد هنالك ما يربطني به سوى إحساس الحقد على الجغرافيا لأني ولدت بين خطي عرض وطول محدّدين. سوريّا: الوطن الناكر للجميل، المريض بكل أنواع الدونيّة أمام الجمال والعقل والحريّة! سوريّا: الوطن الذي أردنا نقله من مستنقع عفن التاريخ إلى عطور الحريّة الجديدة - ورفض؟ الوطن الذي قلنا عنّه للأسف إنّه *فوق كلّ شيء*، واكتشفنا لاحقا أنّه يجعل كل شيء فوقنا؟ الوطن الذي مددنا إليه رقبتنا ليحفر عليها اسمه، فذبحنا؟ المكان الذي لا يعدو الآن بالنسبة لنا أكثر من موقع على الخريطة - مثل التيبت أو تايلند أو بنغلاديش؟ سوريّا، باختصار، حمل ثقيل لا نستطيع رميه ولا حمله - وسوف نكون شاكرين جدا لكلّ من يتبرّع لنا بحمله أو إنزاله عن كواهلنا.

هذا كتاب يحمل ربما نَفَس نيتشه: وليس ذلك بالأمر المشين. وإذا كنّا قد أعلنّا التوبة عن شعار *سوريّا فوق كلّ شيء*، فهذا لا يعني غير أننا نطبق بعض ما تعلمناه من نيتشه في أن لا مفهوم قابل للحياة إلى الأبد.

أخيراً لابدّ لي من الاعتذار لأصدقائي من تيار النازيّة الجديدة في لايبتسغ، كوني طبقت أحد أهم شعاراتهم،

«Deutschland über alles» في أسوأ المواضع امكانيّة للتطبيق: كنت غبيّاً إلى درجة البلاهة.

ليس الحب العادي وحده يغلق العينين ذاتياً، فحب الوطن أكثر !

هناك أوثان في هذا العالم
أكثر من الحقائق

نيتشه

١

لا أحد يجرؤ على طرق باب الإله الأعظم عبر شفاعة لات أو عزّى. لا أحد يستطيع إغضاب أناه العليا، إلهه، عبر تملق غرور أوثان صغيرة يعتقد الجميع خطأ - للأسف - أنّها انتهت. فتلك الأحجار بالذات، التي اعتقد ذات ليلة أنّ روح القداسة قد نُزعت عنها: تلك الأحجار بالذات، التي هي بقايا لات وعزّى، عادوا ليبنوا منها أوثانا أكثر قداسة من أي لات وعزّى - وأوثق سيطرة. كان المرء يعبد لات وعزّى، يصنع لهما أصناما من مواد متنوعة، متعددة الأصول: لكن قداسة لاته وعزّاه لم تحل بينه وبين تلذّذه بطعمهما حين كانا يُصنعان من التمر - خلو المخيّلة من الصنم أسهل كثيرا من خلو المعدة من الطعام. أوثاننا الحاليّة أصعب من أن تهضم، أقسى من أن تمضغ، أقزز من أن توضع في الفم، وأقدس من أن تمس.

واعزاه!!!! ولاتاه!!!!

٢

كم يبدو تحطيم الأوثان صعباً!! ونحن لا نفكّر أصلاً بفعل أي شيء في سبيل تحطيمها: لا يهمّنا ذلك، لا من قريب ولا من بعيد؛ لأن كتاباتنا تصبّ جذريّاً في جدول الذاتيّة المتدفق من نبع الفرديّة الأنانيّة. نحن لا نفكر إلا بسحق أوثاننا الذاتيّة وتبديد مكوناتها حتى لا تُشكل منها أوثان جديدة. نحن لا نهتم بالآخر كثيرا: سواء إن كان هذا الآخر يوافقنا آراءنا أو يخالفنا فيها. نحن لا نهتم إلا بأنفسنا أوّلا وأخيرا. والباقون؟ لا ريب أنّنا سنفرح بخجل حين

نجد الآخر وقد أمسك بفأس أو مطرقة وراح يحطّم أصنامه الخاصّة. سنفرح باعتدال . لكننا لن نحزن أبدا إذا ما رأينا الأوثان منتشرة في كلّ مكان - كما هي عليه الحال الآن . ففهمنا لحريّة الآخر التي لا حدّ لها سوى العدوان على حريّتي الخاصة يتضمّن عدم رفضنا لحريّة هذا الآخر في عبادة أوثانه الخاصّة، شريطة أن لا يفرض عبادته علينا.

لم نتبع أحدا ولم نوثن كائنا أو مفهوماً. وحين يرفض أحدهم أن يكون تابعا أو وثنيا، فهذا لا يعني أنّه يتبعنا أو يوثّننا: إنّه فقط يشاركنا رأيا - ونحن غير مغرمين بذلك كثيرا.

دعوا الموتى يدفنون موتاهم.

٣

ما أصعب تحطيم الأوثان ؟

ما أصعب أن يمسك المرء بمطرقة ويهشّم أوثانه حتى السحق .

ليس الوثن شيئا متخارجا عن الذات؛ فرغم وجوده ظاهريا خارج الأنا، إلا أنّه متجذّر في كلّ خلاياها بحكم الواقع. وثن الأنا هو جزء من الأنا. وحين تقوم الأنا بتكسير أوثانها، فهي إنّما تكسر أناها - تطحنها، تمزّقها، ترمي بأشلائها في كل الأمكنة. وحدها الأنا العظيمة، الأنا الفائقة، الأنا التي تنظر إلى كل ما هو خارجها باحتقار وتقيؤ، يمكنها لملمة شمل أناها ومداواة جروحها والعودة إلى القمّة بأشمخ دائما بعد ان تحطم أوثانها وتبدذ أشلاءها.

لا تطلبوا من الأنا الضعيفة أن تحطم أوثانها.- وثنها مصدر حافزها لأن تكون: مصدر وجودها. إنها طفيلي يعيش على هامش الوثن. وحين تقولون لها:حطمي أوثانك ؛ فأنتم ببساطة تقولون لها: حطمي أناك؛ انتهي؛ انتحري !.

أهون على الضعيف أن ينحر ذاته بذاته من أن يطلق رصاصة حريّة على رأس وثنه.

٤

الحريّة هي أقرب ما تكون إلى كرة زجاجيّة معقّمة داخلياً محيطة برجل فاقد للمناعة بالكامل في جو موبوء بالكامل أيضا. أجواؤنا موبؤة، والحريّة تحمي أجسادنا الضعيفة، فاقدة المناعة، من كل أنواع الجراثيم والفيروسات الفكريّة. وكي أحمِي ذاتي وأحمي الآخر، يجب أن لا أصطدم بهذا الآخر بحيث أحطم غلافي الزجاجي وغلافه هو على حِد سواء.

إذن! نحن نكتب أفكارا ونرميها في الدروب: ويمكن لمن يشاء التقاط ما يشاء من هذا الطبق الفكري المتنوّع.. لا يهمّنا ماذا سيختار، ولا يهمنّا من سيختار. الأمر لا يخصّنا بشىء: الفكرة عندما تتخارج عنّا لاتعود لنا.

الحريّة فى الاختيار تعنى اختيار الحريّة، فالحريّة لا تختار إلاّ ذاتها!!!!

٥

الدين!!!

الدين، بتجلّياته اللامحدودة واللامعدودة، هو الوثن الأكبر للقرن العشرين - والقرون التي بعده؟ ربما!! وتحت أظافرِ هذا «الدين»، قتل الملايين، ذبح مئات الألوف، خُنق، عُذّب، اضطهد... لكن أحدا لم يستشهد: فالشهادة لا تكتب بالدماء!!!

- الدم أسوأ شاهد على الحقيقة —

٦

كان أول ما فعله محمّد، نبيّ الإسلام، حين دخل مكّة، هو أنّه كسّر كلّ الأصنام المتزاحمة حول الكعبة، واستبقى وثنا واحدا: الله!

كان المكّيون الحضاريّون - وهم حضاريّون بالفعل، لأنّهم لم يبدأوا باضطهاد محمّد إلا بعد أن فتح نار شتائمه على آلهتهم، ومن ذا الذي لا يُثار حين يُشتم إلهه، وثنه، قطعة جسده المتخارجة عنه؟- يؤمنون بالتعدّديّة؛ ويعبّرون عن هذا الإيمان عبر قبولهم بحريّة المرء في اختيار شكل تعبيره عن الألوهة. »لا يمكن، كحد أدنى، مصادرة حق المرء في التعبير عن ميول غير ملموسة، وربما لا أساس لها: الماوراء«.

لقد أطاح محمّد بالأصنام كلّها: وكانت أصناماً حضاريّة، تقبل بالآخر دون تحفظ؛ وأبقى على الوثن الذي استحوذ على ذاته: وثن غير حضاري بأيّة حال - فهو لا يقبل أبدا بأي وجود لغيره.

لقد حطّم محمّد كلّ الأوثان الأخرى!!!

والاتاه!! والاتاه!! والاتاه!!

٧

لماذا اختار محمّد الله، ورفعه إلى سويّة الخالق الأوحد، علّة العلل، ورمى بالآلهة الأخرى في صفيحة الزبالة؟ أطاح بها في هاوية الصنميّة والتهكم؟ هذا ما لا نستطيع الإجابة عليه، و لايهمّنا ذلك بأيّة حال!

٨

الإله الواحد أم الآلهة المتعدّدة؟ ربما كان اليهود أوّل المسوّقين لمفهوم »الإله الواحد« - لكن هذا لا يعني أنّهم كانوا يؤمنون دائما بالإله الواحد. فشواهد كثيرة من التراث اليهودي التوراتي وما-بعد التوراتي تشير في اتجاه إيمانهم بوجود آلهة عديدة للأقوام غير اليهوديّة، إلى جانب إيمانهم بإلههم القومي الخاص: يهوه. ولم يأخذ يهوه دور الإله المطلق الوحيد، لليهود كما لغيرهم، إلاّ في مرحلة متأخرة من تاريخ اليهوديّة.

لقد كان اليهود من البدو الرّحل؛ وكما يمكن أن نتلمّس من التقويم العبراني القمري، يبدو أنّ الاستقرار - التحضّر جاءهم في مرحلة متأخّرة أيضا: ولو استطعنا أن نحدّد بدقة زمن مواءمة اليهود بين التقويمين القمري والشمسي، لأمكننا على الأرجح تحديد تاريخ انتقال اليهود من الترحّل إلى التحضّر. كذلك فالأعياد اليهوديّة القديمة، *كالبيساح* مثلا، تشير إلى طقس عبادة رعوي؛ بعكس تلك الزراعيّة، *كالسوكوت* مثلا.

إذن، لقد كان اليهود في العصور الغابرة، شعباً بدويّاً مترحّلاً محاطا بشعوب زراعيّة حضريّة، راسخة في الحضارة. وما تزال الديانة اليهوديّة تكشف حتى الآن - رغم تحضّر اليهود في أيامنا هذه الذي لا تخطئه العين - عن تلك العناصر المغرقة في بدويتها: وأوّلها مفاهيم الوحدانيّة - وحدانيّة إله؛ وحدانية شعب؛ وحدانية عقليّة؛ وحدانيّة شرع... فالبدو، في مواجهتهم لصعوبات قد لا يواجهها الحضر، بحاجة دائما إلى مفاهيم الوحدانيّة: إلى العمل ككيان أوحد فريد.

من الرغبة بالتوحد، جاءت وحدانيّة الإله - وحدانيّة الماوراء لا بد أن تستتبع وحدانيّة حاضر.

٩

لكن الزراعيّة - التحضّر، في ترفهإ واستقرارها ورخاء عيشها، تخلق في البداوة-التنقل عادة نوعا من الحقد العاجز: وهذا يتجسّد بأوضح ما يمكن في ميثة قابيل (قايين) وهابيل، التي تحتلّ مساحة لابأس بها من سفر التكوين التوراتي و القرآن. كان قابيل «يحرث الأرض» - رمز الزراعيّة التحضّر ؛ وكان هابيل «راعي غنم» - رمز البداوة التنقل. يقدّم كل واحد منهما قربانه الخاص للإله يهوه. يقبل يهوه، كما يقول علماء اليهوديّة الدينيون، قربان البدوي، ويرفض قربان الحضري: يهوه متحيّز لليهود، وهو بالتالي متحيّز للبداوة. لكن الحضارة أقوى من البداوة: هذا ما يدركه علماء اليهوديّة الدينيّون. وهكذا فهم يجعلون قابيل يقتل هابيل؛ مع ذلك، فالحضارة ملعونة، مخيفة، مرفوضة. فيهوه لا يتوقف عن صب جام غضبه على قابيل وذرّيته.

لقد كان اليهود على الدوام مستعبدين ومُذلّين من قبل جيرانهم الحضريين. ولما كانوا عاجزين عن الثأر لأنفسهم من هؤلاء الجيران في هذا العالم، اخترعوا لأنفسهم عالم ما وراء ثأروا فيه لأنفسهم من الحضريين عبر رفع سويّة الههم فوق كلّ آلهة الآخرين؛ ومع تزايد الاستعباد، ارتفعت سويّة الثأر العاجز فصار يهوه إلها وحيدا ودُفع ببقيّة الآلهة إلى خانة الشياطين أو الأوثان.

لقد كانت رسالة *عبدة الأوثان* التلموديّة أسوأ تعبير عمّا يمكن أن توصل إليه فكرة الاعتقاد بإله واحد من إساءات للإنسان: يهوه يرفض نظريّا وجود آلهة آخرين؛ واليهود يرفضون عمليّا وجود أتباع لغير يهوه.

الإله الواحد تعبير عن حالة قمع؛
الإله الواحد لا يفضي إلا إلى حالة قمع.

١٠

الحق يقال، إنّ حكاية آدم وحوّاء ونسلهما العظيم التي كاد أحد المفكرين في الكويت المتأمركة أن يصل بسبب كاريكاتير يشير إليها إلى السجن، تكشف بأوضح ما يمكن عن مأساة العقل في الإسلام: بغض النظر عن لامعقوليّة هبوط الزوجين الأوّلين من جنّة لا يعرف أحد مكانها - ولن يعرف، نتساءل: إذا كان عمر البشريّة على الأرض يتجاوز المليوني عام، وإذا كانت أسماء الجماعة البشريّة الأولى - بحسب التوراة و القرآن - عبريّة بالكامل، واللغة العبريّة، بأحسن حال، لا يتجاوز عمرها ألوف السنوات، فكيف يسمّي يهوه - أو الله لا فرق - مخلوقاته الأولى بلغة لم يخلقها بعد؟ لقد حطم اليهود، عبر تياراتهم الإصلاحية والعلمانيّة خرافات التوراة والتلمود والمدراش ونثروا بقاياها فوق أرفف العالم، لكن المسلمين ما يزالون مسكونين بهاجس الدفاع عن إرث أولاد عمومتهم، مهما كانت كلفة ذلك العقليّة هائلة...

١١

ضمن حالة تعدّديّة الآلهة الحضريّة، كما نجدها في اليونان القديمة على سبيل المثال، كان الإيمان شأنا خاصّاً. بل كان اللاإيمان شأنا خاصّاً. انتق إلها واعبده: أو لا تنتق شيئا على الإطلاق - تلك أبسط متطلبات العيش الحضاري. أبسط الحريّات تلك المتعلقة بما لا تمتلك دليلا على وجوده: هل يكفي الإعتقاد للبرهان على صحّة ما يعتقد به المعتقد؟ من البديهي تماما أن لا تفرض على الآخرين ما تفتقد إلى أدنى متطلبات البرهان على صحّته. بالمقابل، فحين تحوّل اليهود من الحالة الرعويّة إلى وضع الاستقرار، صارت التوحيديّة بالنسبة لهم مسألة إرهاب ممنهج،

١٢

مسفسط: ورسالة *عبدة الأوثان* التلموديّة، أول وثيقة تكفير تفصيليّة في تاريخ الإنسان، لم تنشأ إلا عن وضع كهذا!!!!

١٢

كانت المسيحيّة البولسيّة المتهلّينة حركة اخترقت قلب اليهوديّة لتليّن بالتالي صرامة الإله اليهودي وبداوته، وتعيد إلى علاقته بالانسان نوعا من الالتحام والألفة: كانت حركة حضريّة، مقارنة بتلك الابيونيّة، اليهوديّة الملامح، البدويّة السمات.

عبر المسيحيّة البولسيّة، عاد الفكر اليوناني ليثبت جدارته في قلب العالم اليهودي - كان بولس الصفعة الأقسى التي وجهتها أثينا الحضارة لصحراء يهودا والسامرة.

لكن الإله المسيحي لم يتحرّر بالكامل من سيطرة الأغلال اليهوديّة- كان شكله أقرب إلى أحد أنواع التوفيقيّة بين الإله اليهودي البدوي الدكتاتوري الصارم، والآلهة الهلينيّة الحضريّة الديمقراطيّة الليّنة، فكان »الإله الواحد« الذي هو في »ثلاثة أقانيم«. ورغم الأخطاء الفاحشة التي ارتكبتها الكنيسة الكاثوليكيّة على مرّ الزمان، يظل مفهوم المسيحيّة للإله أفضل وأكثر حضارة - بما لا يقارن - من مفهوم اليهود له. بل لقد ساهمت الكنيسة في أوروبا، خاصّة في القرنين الأخيرين، في إضفاء ليونة ملموسة على صرامة الشكل اليهودي للإله، فكانت تلك الحركات الحضاريّة التي شقت جدار اليهوديّة الأرثوذكسيّة المصمت، والتي تقف على رأسها حركة اليهود الإصلاحيين. مع ذلك، ورغم جهود بولس والتيار الهليني في المسيحيّة، جاء الإسلام، بشكله الابيوني ورائحته التلموديّة المدراشيّة، فأعاد المسألة إلى نقطة البداية.

- محمّد هو الصفعة الأقسى التي تلقّاها خدّ بولس.
يهوه هو الله!!!!!

١٣

لم يكن محمّد أستاذاً مبرّزاً في المدرسة المسيحيّة-البولسيّة-الهلينيّة، لكنه كان طالبا مبتدئا في الكتّاب اليهودي-الحاخامي-المدراشي -التلمودي-الترغومي-التوراتي. ليس هذا فحسب، بل إن معلوماته حول يسوع كمسيح كانت مستمدّة من أكثر التيارات تهوداً بين أتباع يسوع: النصرانيّة بشقها الابيوني. لذلك فقد كانت مفاهيمه وآراؤه وتصوّراته حاخاميّة متصحّرة، شكلا ومضمونا.

١٤

كان تحطيم الأصنام حول الكعبة فعلة اقترفها واحد من أسوأ أصحاب محمّد وأكثرهم عنفا ودمويّة وإرهابا: خالد بن الوليد! امسك ابن الوليد هذا بفأس، وراح يكسّر الأصنام الجميلة المحيطة بالكعبة. وكان ابن الوليد هذا يحطم الأصنام بيد، ويخلق أوثانا باليد الأخرى - كان هو ذاته أحد تلك الأوثان. صارت اللات القديمة عائشة جديدة - وربّما فاطمة!! صار هبل القديم عمرا جديدا - وربّما عليّا... وعلى رأس البانثيون، تربّع محمّد هادئا، قرير العين - أليس هو رسول الله وشفيعه وممثّله على الأرض؟؟؟

١٥

رغم كلّ شيء، ظلّ هنالك فرق أساسي بين الأصنام القديمة والأوثان الجديدة: الحضارة! كانت الأصنام القديمة أكثر حضارة

من الأوثان الجديدة - وأكثر إعطاء للحريّة. فرغم رفض محمّد عمليّا الاعتراف بوجود الاصنام القديمة عبر ايمانه المطلق بإله واحد لا صاحبة له ولا ولد، فالمكيون الأرستقراطيّون القدامى لم يقوموا بشيء ضدّه. ولم يفتحوا عليه نار غضبهم فعليّا إلا حين بدأ يشتم آلهتهم-أصنامهم ويحقرها. بالمقابل، فما إن رسّخ محمّد قدميه في يثرب كنبي معتمد، حتى راح يصفي كل من راودت له نفسه هجاءه أو التشكيك بنبوته: هل يمكن أن ننسى ما فعله، مثلا، ببني قريظة؟ وهل يمكن أن ننسى كيف قتل قينتين أثناء استيلائه على مكة لمجرّد أنهما كانتا تغنيان أشعاراً تتضمّن هجاءً له، مع العلم أن المرأتين ليستا ملك ذاتيهما أصلا، ولا خيار لهما واقعيا في ما تريدان وما لا تريدان؟ ومايزال هذا التقليد المحمّدي ناجعا للغاية إلى يومنا هذا.

والاتاه!!!! واعزاه!!!

١٦

الإسلام هو أوسع الأديان الموضوعيّة- بالمعنى السلبي للكلمة - انتشارا في العالم الآن. ففي تاريخ الفكر، كان ثمّة صراع دائم بين التيارات الذاتيّة والتيارات الموضوعيّة. التيارات الذاتيّة، كالوجوديّة إلى حدّ ما، تضع الذات، أي الإنسان، على رأس اهتماماتها. الذات قبل الموضوع؛ الإنسان قبل الفكرة؛ فالفكرة جاءت أساسا لخدمة الإنسان —وليس العكس. لا توجد فكرة في هذا العالم أهم من الإنسان: كلّ الأفكار تغدو سخافة ضائعة الملامح حين يطلب من الإنسان قصّ ذاته وفق باتروناتها. في لحظة مغبرّة من التاريخ البشري، جاءت الماركسيّة بباترون لإنسان معلب، وطلبت من هؤلاء الذين يزأرون بالحياة قصّ أنفسهم وفق خطوطه. أمسك

الماركسيون بالباترون وراحوا يدخلون فيه تلك الكائنات الحلوة التي اسمها البشر؛ وعوضاً عن أن يقصّوا الباترون إذا اكتشفوا أنّه غير متناسب مع الإنسان المدخل فيه، كانوا يقصّون الإنسان: هذا الرجل ساقه طويلة، والساق في الباترون قصيرة؛ قصّوا إذن ساق الرجل؛ هذا الرجل يده قصيرة-اكسروا عظامه ومطوها. وهكذا فرّخت الماركسيّة كائنات بشريّة مشوّهة في فترة قياسيّة. ولأن الإنسان جزء من الطبيعة، والطبيعة قاسية على من يشوهها، سقطت الماركسيّة بدوي غير مسبوق.

١٧

الإسلام هو أشهر تيار في عالمنا الحالي يقدّم الموضوع على الإنسان: كل البشريّة كتلة لا شيئيّة هائلة الحجم مقابل هذا الكتاب الصغير الذي اسمه القرآن . كل الناس حثالات، ديدان ينبغي دوسها دون حماسة أمام فكرة غير ملموسة ماديّاً اسمها الله. بل إن كل من يحيط بنا من كائنات حيّة لا يمكن أن تساوي، إسلاميا، شعرة من رأس رجل مات ولا نعرف عن صورته الفعليّة شيئًا اسمه محمّد. الإنسان عبد الفكرة: هذا هو أبسط ما يمكن أن يختصر الإسلام من تعابير.-والبقيّة تأتي...

١٨

لماذا سقطت الماركسيّة وتمزّقت باتروناتها وضاعت تحت ثلوج الكرملين، ولم يسقط الإسلام أو يتزعزع حجره الأسود أو تُحرق كتبه الصفراء المأهولة بالديدان واعتقال كل أنواع الصيرورة؟ لأن الماركسيّة، رغم كلّ شيء، إرث غربي؛ وكإرث غربي، لابدّ لها أن

تستبقي بين شفتيها قليلاً من رحيق الديمقراطيّة والقبول بالآخر: في دم الماركسيّة بضع كرّيات حمر يونانيّة. الإسلام، بالمقابل، لا يضخ في قلبه إلا الدم الحاخامي- ومتى كان هذا الدم يمتلك إمكانيّة الجرأة على تصوّر قبول الآخر؟ الإسلام لا يستطيع قبول الآخر- لا وجودا ولا رأيا ولا تفكيرا: لأن في ذلك نهايته. وحين ستكون لدى الإسلام إمكانيّة قبول الآخر بشروط هذا الآخر، سينتهي بأسوأ ما انتهت إليه الماركسيّة.

قوّة الإسلام في سيفه لا في أفكاره: واسألوا الرقابات العربيّة؟!

١٩

هل الوطن بدّ قدسيّ السمات أم أنه قطعة أرض يسكن فيها الإنسان، لا فرق فيها إن كانت في الصين أو البيرو أو النيجر؟ وهل هنالك مواضع مقدّسة ومواضع لا؟ ومن الذي اقترح أن هذا المكان مقدّس وهذا لا؟ الإنسان، الذي يبحث دائما عن مخدّات قداسة يسكن عليها رأسه، هو الذي اخترع مفهوم قدسيّة المكان، وبمرور الزمن تقدّس في رأسه المفهوم ذاته فصارت مناقشة المفهوم أحد أشكال التجديف. سلسلة متراكبة من القداسات: ووحده الإنسان غير مقدّس فيها.

٢٠

يقولون: الدفاع عن الوطن؛ ونقول: الدفاع عن الأنظمة التي تستعمر الوطن. الوطن هو المكان الذي أشعر فيه بإنسانيتي؛ وطنيّة الحاكم تتناسب طردا مع إحساسي بهذه الإنسانيّة في الوطن!

٢١

التفكير مسألة كانت ومازالت ترمي بصاحبها في غياهب القلق. الإنسان يكره القلق. لكن الإنسان كائن مفكر. سكينة الذات – التحرّر من القلق – تتعارض بالفعل مع التفكير. وإذا كان الإنسان يخشى التفكير في العصور الغابرة خوفا على ذاته من القلق، فالإنسان في عصرنا الحالي، خاصّة في تلك المناطق المحكومة بأصابع الفكر غير الذاتي، صار يخشى التفكير خوفا على ذاته من الآخرين ومن قلق ذاته في آن. من هنا اخترع الإنسان لذاته وللآخرين الذين ينشد تعليبهم لقاح القداسات الذي لم يُخلق أفضل منه لتحصين الذات والآخر من جرثومة التفكير. وكلما ازدادت القداسات وارتفعت سويتها، تضاعفت المناعة ضدّ التفكير في الكائن البشري الضعيف.

قل لي كم تقدّس، أقل لك من أنت .

٢٢

الأرض أم الإنسان؟ من الذي يعطي الآخر وجوده وبؤرويّة كيانه؟ من الذي يعطي الآخر معنى؟ الإنسان هو الذي يعطي الوطن المعنى: اختلاق المعاني مسألة بشريّة. – فدون إنسان لا معنى للمعنى. لماذا على الإنسان إذن أن يموت على مذبح الأرض؟ كم من البشر قتلوا على مرّ العصور على مذبح التراب؟ التراب هو ذاته في أي مكان من العالم. الأرض هي أيضا ذاتها. لماذا أبرر

لنفسي جريمة أن أقتل في سبيل هذه الأرض، في حين أن الأرض الأخرى التي قد تكون أكثر جمالا ونقاء لا تستحقّ منّي أن أعرق لأجلها؟ الأرض لا تعرف أبدا أني أحمل عنها هذه المفاهيم غير الطبيعيّة- الأرض أعقل من تلك الغرابات. وأنا لا أقتل ذاتي من أجل الأرض، بل من أجل مفهوم اخترعته لذاتي وأحطت به ذاتي وأدمنته حتّى الاختناق!

قداسة الأرض - مفهوم غير طبيعي أول من يحاربه الأرض، أم الطبيعة.

قداسة الأرض - حكاية عجائز لم يعد بالإمكان تحمّل تكراريتها التي تغتصب قلقنا الداخلي الجميل.

قداسة الأرض - حاجز ذاتي آخر يكبّل تفكيرنا.

٢٣

من مات دون أرضه فهو شهيد: تعبير ردّدناه كالببغاء النمامة العرجاء منذ خمسة عشر قرنا. لكن قبل أن نناقش هذا التعبير المحفز للتقيؤ، دعونا نناقش مسألة الشهادة.

هل يعقل أن نضحّي بكيان موجود، اسمه الإنسان، لحساب مفاهيم هوائية، من طراز الشهادة؟ هل يعقل أن يقدّم الإنسان حياته التي يمتلكها، لأشباح مفاهيميّة أقرب ما تكون إلى نوع مستعص من الهيستيريا، كالشهادة؟ ومن الذي يضمن لي، فعليّاً، أني إذا مت سأحظى بما هو أفضل مما أحظى به في هذا العالم؟ هل مات أحد قبلي وجاء فرحا ليخبرني أن *العولام هاباء* هو أفضل من عالمنا هذا؟ الشهادة، باختصار، مفهوم غبي يستغله الأقوياء والمتنفذون ومهووسو السيطرة لاستغلال الضعاف والإمعات بأفضل ما يمكن.

لقد مات كثيرون في حربي الخليج، على سبيل المثال، وكان مصطلح الشهادة الملّ الأكثر استخداما في أفواه الحكام: لكننا لم نسمع أن هذا الحاكم أو ذاك استشهد في سبيل القضيّة!! الحاكم، النبي، مؤسسو الحركات المفاهيميّة الكبرى والصغرى على حدّ سواء - كلهم يشجعون على الشهادة: لكن لغيرهم. هم يريدون أن يكونوا أحياء عند ربهم يرزقون في هذه الدنيا: أمّا الناس العاديون، فالأفضل لهم أن يرزقوا في غير هذا العالم. موتوا كلكم في سبيل الوطن، فأنتم شهداء - يقول الحاكم أو النبي؛ موتوا كلكم من أجل أن يزداد نعيمي في الدنيا - يقول تفسيرنا عديم الحياء. انتحروا لحماية أراضيكم - يقول الحاكم أو النبي؛ انتحروا لأجل بقائي - يقول تفسيرنا غير الحيي؛ حاربوا الأعداء والمتآمرين - يقول الحاكم أو النبي؛ حاربوا الذين يريدون منافستي في حكمكم - يقول تفسيرنا الوقح.

٢٤

وماذا يعني إن حكمنا رجل من بني ديننا أو من بني دين غيرنا؟ وماذا لو حكمنا رجل ينطق بلغتنا أم ينطق بلغة لا نفقه منها حرفا؟ وماذا لو حكمنا رجل يختلف عنّا لونا وجنسا وروحا وحضارة؟ ما همّنا نحن من الحاكم إذا كانت علاقتنا به لا تتعدّى تسلم القرارات والتوجيهات والأحكام؟ ما يهمّنا كمواطنين أن تكون الأحكام المتعلقة بنا ديمقراطيّة، أن تكون التوجيهات عاقلة، أن تكون القرارت صائبة: بغضّ النظر عن الذي أصدرها لأن علاقتنا بهذا المصدر أحاديّة الجانب.

٢٥

هنا لابدّ من الحديث في مسألة ستزعج الجميع دون استثناء، وسيتبرّع كلهم للإدلاء بدلو تخوينهم ومؤامراتهم في تلك البئر المفاهيميّة العفنة: هل كان استعمار الغريب - الفرنسي في الحالة اللبنانيّة مثلا - أفضل أم استعمار هذا الذي يجمعنا به المكان واللغة وال...؟ وهل كان هؤلاء الذين لا يملّ إعلامنا الغريب في لا عقلانيته الحديث عن بطولاتهم وأمجادهم في محاربة الاستعمار أبطالا بالفعل، أم مجرّد قطاع طرق وانتهازيين ومهووسي حكم ساقهم سوء حظنا وبلاهة مفاهيمنا في دروب القداسة؟ يجب أن نكون واضحين أكثر ونطرح السؤال التالي، كأشخاص عايشنا الحرب اللبنانية - حرب المفاهيم النتنة - ورأينا بأم العين عمق مأساة التصحّر الفكري في سويسرا الشرق: هل لو كان الفرنسيون موجودين، كأمّة عقلانيّة علمانيّة حضاريّة، لوقعت تلك الحرب البدويّة؟ في اعتقادنا: لا!!! فنصف قرن من الوجود الفرنسي في لبنان، كان سيجعل من هذا الشعب البدوي التوراتي - التلمودي المتصحّر، مجتمعا مدنيّا علمانيّا متحضّرا.

٢٦

أتخمنا المحتلون من أبناء الوطن بالشعارات. فتارة يريدون الاشتراكية؛ وبعد أن تثبت اشتراكيتهم الفشل الأبهر، يرمون بالاشتراكيّة في صندوق الزبالة ويبدأون البحث عن شعار جديد يضحكون به على الناس. والناس لم يعودوا كما كانوا أيام المحتل الأجنبي المتحضّر: صار الناس يخشون مجرد التفكير بالمعارضة. فقد كان مسربلا نجاح المحتل من أبناء الوطن في تحويل هذه الكائنات إلى دجاج من النوعيّة المسمّنة هرمونيا التي يندر

مصادفتها في ثقافات أخرى: دجاج يفتقد حتى إلى الديوك - دجاج عقيم. وماذا نقول لهذا المواطن الذي دفع من عرق جبينه وقوت أطفاله ثمن تلك الملصقات التي تحيي الاشتراكيّة باعتبارها الحلّ الوحيد الذي سيخرج كلّ الأوطان من جحيم العبوديّة والاستغلال والظلم إلى نعيم التقدّم والمساواة والتحرر؟ ماذا سنقول لأولئك الفنانين الذين كدّوا وتعبوا وشحذوا هممهم في سبيل تأليف أغنيات تمتدح الاشتراكيّة - أي، تمتدح الداعين اليها - بعد أن أحيلت أغانيهم الرائعة إلى متحف الكائنات غير الطبيعيّة؟ وماذا سنقول للراقصات اللواتي بذلن الغالي والرخيص وهن يحتفلن مع الاشتراكيين بذكرى حركاتهم العظيمة؟ بعد ربع قرن اكتشف انسانِنا - أو بقايا ما تركوه لنا من حطام الإنسان - أن الاشتراكيّة مطبقة بالفعل لكن على نطاقين: الشعب يتشارك بالفقر؛ والحكام وحواشيهم من فنانين وتجار وكتّاب مأجورين ورجال دين إمّعات يتشاركون بالفحش في كل ما هو استغلال وفساد واستعباد.

كم يبدو أولئك الذين ماتوا في سبيل الاشتراكيّة مضحكين دون تردّد!! غدا حين سأقابلهم في الجحيم، سأمدّ لهم لساني وأعيّرهم لأنهم ماتوا في سبيل مفهوم اخترعه آخرون استغلوا سذاجتهم للتربع على القمّة عبر استخدام مفاهيم قابلة للاستهلاك من نوعيّة الاشتراكيّة. وسوف تحرقهم اللات والعزّى بنيران لا تلين لأنهم ساهموا بغباء لا يجارى في إطفاء نار الارستقراطيّة العظيمة والاتيان بكل ما هو رعاعة ومداس إلى القمّة تحت الظلام الدامس.

٢٧

القوميّة هي ذلك الحمار الأعرج الذي ركبه بعضهم - مقابل الطائفيّة - للوصول إلى السلطة، وما أن تربّعوا فوق قممهم، قتلوه. خلعوا بذلات الرفاقيّة الموشومة بنياشين القوميّة، وارتدوا جلابيب الطائفيّة التي لا توحي الا بأن تلك الكائنات أبعد ما يكون عن الحضارة - وحدهم الرحّل الرعاة بحاجة إلى شعور الانتماء القبلي-الطائفي-المذهبي لبعث نوع من الطمأنينة في دواخلهم وهم يواجهون، بعجز الجاهلين، ظروفا لا يواجهها أبناء المجتمعات المدنيّة المتحضّرة. لقد أشاد قوميونا الأفاضل جسورا رائعة، وأبنية يمكن أن تبعث في الذاكرة تداعيات توحي للمرء بأنه موجود في دولة متحضّرة، لكن الواقع المتهالك يقول إن خلف تلك الجسور والأبنية يكمن إنسان كاره للحضارة، حاقد بعجز على العلم، شاتم لروح العصر - ألم يشتم اليهود من قبل الحضارة باعتبارها كفرا؟

القوميّة مفهوم غبي آخر يمكن إضافته بفخر إلى القائمة الطويلة للغاية من مفاهيمنا الغبيّة.

٢٨

لاشيء يمكن أن يجمع الإنسان بالإنسان أكثر من وعي الإنسانيّة الحضاريّة في العلاقة المتبادلة بين الوجودات البشريّة. لست بحاجة إلى مفاهيم غبيّة متهالكة كي أشعر أن ما يربطني بصديقي الأمريكي لا يمكن فصل عراه؛ لست بحاجة إلى أشباح أفكار محنّطة كي يخلق بيني وبين ذاك الرفيق الرائع القابع تحت سماء غيسن الألمانيّة تواصل لا يدرك كنهه: شعور الضعف القبلي الأصل والرائحة لا يمسّنا في شيء. لقد مزّقنا شرنقة القبيلة مرّة

وإلى الأبد. ولن نرجع أبداً إلى تلك الشرنقة المعقّدة. فحين دفنّا المفاهيم القديمة والأفكار القديمة، دفنّا معها القبيلة مرّة وإلى الأبد.

٢٩

كان الإسلاميّون، كأية جماعة قبليّة بدويّة لا تمتلكٍ حيالٍ الحضريّة إلاّ مشاعر العداء، يطرحون ببراءة متعبة مفهوما مغرقا في المومياثية يقول، إن أبعد مسلم في هذا العالم أقرب إلى المسلم الآخر من جاره غير المسلم - ألم يقل أحد الإسلاميين السوريين إن المسلم الباكستاني أقرب إليه من جاره المسيحي؟ جاء بعدهم القوميّون دعاة الاشتراكيّة، فطرحوا أن الرباط القومي هو الأهم، وأن ابن جلدتهم، أيّا كان تموضعه، أقرب إليهم من غيره، أيّا كان موضعه أيضا. والحقيقة أن الإسلاميين ودعاة القوميّة وجهان لعملة واحدة: البدويّة المتخلفة المعادية للحضريّة. فقصور العقل عند المنغلقين على ذواتهم، يبعث فيهم آراء غريبة لا يمكن أن تخطر ببال من يفهم أن الآخر هو آخر فقط باعتباره آخرا، وليس لأي سبب آخر. الأميركي أو السوري أو اللبناني بالنسبة لي هو آخر بحد ذاته، وليس لأنه أميركي أو سوري أو لبناني . وعلاقتي بهذا الآخر محكومة أبدا بفهمه لي، وتقديره لحريّتي، واحترامه لكرامتي. فالأميركي الذي يقدّر ذلك كله، أقرب الي من اللبناني أو السوري الذي يقصر فهمه عن استيعاب ذلك. العلاقة بين الكائنات البشريّة هذه الأيام، في اعتقادنا، محكومة أساسا بمستوى فهم تلك الكائنات للعامل الحضري في العلاقة بين الناس. وهكذا فالمسلم الأصولي الذي لا يفهم العالم إلا من خلال شريعته، أبعد كثيرا بالنسبة لي من البرازيلي الذي يعرف حقي كانسان ويعترف به، يفهم واقعي ويتفهمه، يقرر اختلافنا ويقرّ به.

٣٠

الدين، في نهاية الأمر، هو الدجاجة التي باضت القوميّة في هذه البلاد: القوميّة لم تأت نتيجة فهم علمي-علماني لأنطولوجيا الشعب. القوميّة كانت - ومازالت -النتيجة النهائية للدين. وبعد حكم دام أكثر من ثلاثين عاما لأحد الأحزاب القوميّة في إحدى الدول العربيّة، نتفاجأ بالجهاز الإعلامي في تلك الدولة بالذات يتحدّث عن »الأمّة الإسلاميّة« كحقيقة لا ريب فيها. لقد أراد بعضهم أن يقدّم في تلك البلاد في المنطقة التي تسكنها أديان متعددة حلا لأزمة الوحدانيّة - المفهوم الاستفزازي الأشهر - فاكتشفوا القوميّة - لكنّها بيضة دينيّة قشرتها قوميّة. وحين آن أوان الفقس، لم يخرج من تلك البيضة إلا صوص على رأسه عمامة.

٣١

هل يعرف عوامنا المضلّلون أن اليهود القدامى - واليهود الأرثوذكس حاليّا - كانوا يرفضون أن يصلّوا بغير اللغة العبريّة: كي تصل الصلاة إلى يهوه، لابدّ من تأديتها بالعبريّة، فالملائكة التي تنقل إلى يهوه كلماتهم التي يعتبرونها مقدّسة، لا تفهم غير تلك اللغة، وبالتالي لا يمكنها أن تنقل أي نصّ بغيرها! وبالتالي كان على اليهودي العربي أو الروسي، على سبيل المثال، أن يؤدّي طقوسه بلغة لا يعرف منها غير كلمات الطقس، بل غالبا ما لا يفهم حتى مدلولات عباراته.

ولأن الإسلام ورث عن أخته الكبرى اليهوديّة معظم مفاهيمه الشاذّة وخرافاته التي لا ريب في عقمها، فقد نشر بين أتباعه

نسخة عربيّة عن تلك الأسطورة العبريّة المتهالكة، لكن بعد إضافة لمسات يتطلبها الوضع الإسلامي الخاص. فلم يعد الله قادرا على التواصل مع بعض الأفراد الذين قدّموا للناس أوراق اعتماد كرسل فحسب، بل انتحل هو أيضا - كيهوه تماما - صفة الإله العنصري الذي ليس على استعداد لأن يسمع صلاة بغير اللغة العربيّة.- لماذا اللغة العربيّة؟ لا أحد يمتلك جوابا عقلانيّا مقنعا: موضوع غير منصوص العلة، وفق التعبير الإسلامي. وصار على المسلم الماليزي أو الزنجباري بالتالي أن يصلي بلغة لا يعرف عنها سوى قراءة أحرفها دون فهم غالبا -كما يقرأ طفل عربي اللغة الفارسيّة!!!

الله لا يتكلم إلا بالعربيّة؟؟؟

العربيّة بالتالي مقدّسة!!!

٣٢

إذا كان الله لا يجيد الحديث إلاّ بتلك اللغة المقدّسة - العربيّة عند العرب، والعبريّة عند أولاد عمومتهم - الوحيدة، وإذا كانت تلك اللغة وحدها المسموح باستخدامها في لغة الحوار مع الإله: فلماذا خلق اللغات الأخرى؟

كان اليهود يعتقدون قديما أن يهوه يلعب مع لوياتان كي يتسلّى: جميل!!! ربما كان جلّ جلاله يتسلى؟

٣٣

لا أحد يجرؤ على مدّ يده إلى تلك اللغة المقدّسة لأنه بالتالي يلعب بلغة الله! تطوير اللغة هو المس بالذات الإلهيّة. لكننا نتساءل ببراءة السذّج: أليست اللغة في نهاية الأمر نتاج فكر ابن زمانه ومكانه؟ أليست اللغة في نهاية الأمر عنصر تفكير مغرق في قدمه

يتمطّى على عتبات البدائيّة؟ كيف يمكن للّغة أن تتوقف عن التطوّر إذا كانت أصلاً وليدة فعل التفكير الذي لا يتوقف هو ذاته عن التطوّر؟ هل يمكن لمفهوم أو آخر أن يعيق عمل العقل مهما بدا هذا المفهوم مقدّساً؟

وكالسذّج البلهاء نتساءل أيضاً: هل باستطاعة اللغة العربيّة، بوضعها الحالي، أن تساير العلوم الحديثة بتعقيداتها المتراكمة وتفاعلاتها المتلاحقة؟ باختصار: لا!! اللغة العربيّة التي تفتقد أحرف أساسيّة لا غنى عنها في بعض العلوم، كالدوائيات مثلا، والتي التنوين فيها بدائي بعكس السريانيّة مثلا، لا يمكن أن توفي بالمتطلبات الأبسط لأدنى مراحل البحث. وحين طرح بعضهم كتابة العربيّة بالحرف اللاتيني، انفتحت عليه كلّ بوابات الجحيم كعميل من الطراز الأوّل: مع أن زواج العربيّة من الحرف اللاتيني قد يشكل نقلة لا بأس بها للطرفين على حدّ سواء. ولا مانع عندنا أن يفتحوا علينا الأبواب التي فتحوها من قبل على المعلم سعيد عقل!!!

٣٤

ما أبلد أن يكون الجنس مسألة محوريّة في حياتنا كأفراد وجماعات: الجنس أمر خاص. الجنس فعل نمارسه في الليل تحت وطأة الرغبة التي قد لا تفيد معها كل علوم الأرض، للجمها. الجنس فعل جميل: فلماذا نحيطه بالأساطير. الطيور، الحيوانات، النباتات ، كلّ ماهو طبيعي في هذا العالم يمارس الجنس بطريقته: دون مفاهيم قدسية وأساطير وأسلاك شائكة - فلماذا نصرّ على أن نكون غير طبيعيين؟

هل العذريّة أهم أم احتراق الأنثى اليومي النازف بنار الرغبة؟ أليست العادة السريّة، التي تمارسها الغالبيّة الساحقة من نسائنا،

أحد أشكال المضاجعة؟ ولماذا لا يعتبر إيلاج الإصبع عيباً، مع أنّه لا يروي بالكامل، في حين أن إيلاج القضيب عيب قد يستوجب الموت أحيانا، مع أنّه مريح وباعث على الاسترخاء والجمال والحريّة في جسد الأنثى؟ أليس غريبا أن يوجد في هذا العالم من يوافق حتى الآن على جريمة قتل الفتاة غير العذراء؟ البكارة أم الإنسان؟ النهد أم الحياة؟ لماذا يريد الجميع مصادرة الجسد لحساب مفاهيم لا توجد إلا في مشافي المجانين، كالشرف وفق التعريف العربي للمصطلح؟

لنكن واضحين تماماً، رغم تأكدّنا من أن كؤوس خمرة الحميّة ستلعب برؤوس كثيرين: ما هو الشرف؟ ما معنى أن تكون المرأة ببكارة أو بلا بكارة؟ وهل أن التي لا تمتلك ذلك القفل السحري خالية من الأخلاق؟ وهل أن بكر مصطلح يعني، باختصار شديد: فضيلة؟ الفضيلة، بالمفهوم العربي للكلمة، نتانة معادية للطبيعة. العذريّة، في إعتقادنا، لا تمتلك سوى تعريف وحيد: تلك الفتاة معقدة جنسيا - إما أنها مدمنة للعادة السريّة، أو إنّها مصابة بزحار الشرف العربي.

٣٥

كم يبدو الجسد العاري جميلاً! اخلع ثيابك، واستلق عارياً - كم ستكون المسألة رائعة! الإنسان جزء من الطبيعة: والطبيعة جاءت بنا عراة إلى كوننا الرائع: فلماذا نحارب الطبيعة؟ من قال إن العري هو الحالة الشاذّة واللباس هو الحالة الطبيعيّة؟ وهل إذا ألبسنا الفتاة من رأسها إلى أسفل قدمها، على الطريقة الإسلاميّة - اليهوديّة، استطعنا إيقاف إفراز البروجسترون في خلاياها؟ العري حريّة، والحريّة جمال، والجمال نعمة؛ اللباس مفهوم،

والمفهوم قيد، والقيد بشع، والبشاعة نقمة! اخلع أثوابك، والبس نقاء الطبيعة، وحريّة الجمال، البس عريك من المفاهيم الموثّنة، ومن آراء الآخرين المسبقة،ونم في قلب الحياة!

٣٦

في الجنس أمور كثيرة نأخذ منها موقفاً غيبيّاً، مفعماً في الغيبيّة، لا نمتلك له تفسيرا ولا تأويلا: وعلى رأس ذلك، المثليّة الجنسيّة. ورغم كلّ التقدّم العلمي في دول الغرب، ما يزال الفهم المعتمد لحقيقة المثليّة الجنسيّة مسكونا بالالتباس: فالصراع بين المدرسة الاجتماعيّة-النفسيّة والمدرسة الجينيّة حادّا في تفسير أسباب هذه الظاهرة المنتشرة منذ أقدم العصور. وفي كلّ دول العالم المتحضّرة، صار للمثليين الجنسيين موقعهم على الشاشة الاجتماعيّة: لم يعد المثلي أو المثلية كائنا منبوذا لا لسبب، الا لأن ميوله الغريزيّة لا تتفق مع ميول الغالبية. وهذا لا يؤذي تلك الغالبيّة بأية حال. العالم المتحضّر يفصل الآن بين حياة الإنسان الخاصّة وحياته العامّة: ما همّني إن كان هذا الشخص مثليا مادام، كإنسان، في أحسن حالات النفس البشريّة؟ ما همّني إن كانت تلك الفتاة مثليّة، إذا كانت تضطرب بأحلى أمواج الجماليّات البشريّة؟ أيهما أفضل: أن يحكم هذا القطر أو ذاك شخص مثلي من نمط مارسيل بروست أو أندريه جيد أو أوسكار وايلد، أو أن يحكمه قاتل على شاكلة بينوشيت أو بول بوت؟

٣٧

في الإسلام واليهوديّة الأرثوذكسيّة لا يوجد مثلي جنسياً، بل لوطي؛ لا توجد مثليّة جنسيّا، بل سحاقيّة. وتلك تعابير لا تستطيع

تحمّل ما يوضع على كاهلها من إساءات للإنسان وتحقير للكرامة البشريّة. ورغم أن النبي لوط المزعوم، الذي يقولون إنّه هرب من بلدته الملعونة بسبب خطيئة المثليّة الجنسيّة، وقع في ما هو أدهى - بنظرهم على الأقل - من خطيئة المثليّة إذ مارس الجنس مع ابنتيه، فاسم هذا الكائن الحاخامي طبع مرّة وإلى الأبد موقف البشريّة المعاقة عقليّاً من مسألة هي من أكثر أمور الإنسان خصوصيّة وحميميّة.

لا حلّ أمام المثلي الجنسي في الدول الإسلاميّة المتخلّفة، كسوريّا مثلاً، سوى أن يعيش كعاهرة - أو أن يكتم مشاعره داخله، إلى الأبد. المثليّة الجنسية في هذه النوعيّة من الدول، هي أحد أشكال الدعارة؛ والمثلي الجنسي، بحكم الواقع، يحترف، منذ أن يعي مثليّته، أردأ صنف من الدعارة الذكوريّة - وبمرور الزمن، يصبح هذا الإنسان مجرد أداة لامتصاص السوائل المنويّة، بغضّ النظر عن المعطي؛ وتصبح المشاعر البشريّة آخر ما يحق لهذا الكائن البشري التفكير به. إنسان يسقط بسبب مفهوم. جريمة أخرى تُضاف إلى قوائم جرائم تلك المجمعات المحكومة بالمفاهيم السقيمة.

٣٨

في هذا الكون المثخن بالأفكار، ثمّة شعب غريب، منغلق، محصّن بالإسلام ضدّ أنواع الفهم والتفكر والحضارة، اسمه العرب. وهذا الشعب الذي ما يزال يرزح تحت وابل من سخافات قديمة *وهالاخوت* قديمة ووثنيّات قديمة، تقتل فيه كلّ الرغبات بالتجاوز الذاتي-هذا الشعب التعب المتعب، مسكون بأسطورة مقدّسة، ككلّ التوافه، اسمها المؤامرة. العرب ارهابيّون: مؤامرة؛

العرب متخلّفون: مؤامرة؛ العرب فارغون، عقيمون، مزعجون، مريعون، مكروهون: مؤامرة! والحديث عن اسطورة المؤامرة العربيّة؟ مؤامرة؟

٣٩

ما معنى الديمقراطيّة؟ حتى لا يصير التِباس، ويُخلط فهمنا للديمقراطيّة بتلك المدلولات المسوّقة جيدا من قبل الإعلام الأميركي الاستغبائي، ففهمنا للمصطلح خاص، لا علاقة له على الإطلاق بكلّ ما هو موجود على الساحة من مفاهيم ! الديمقراطيّة، بمعنى حكم الشعب نفسه بنفسه، قضيّة عنقائيّة، لا وجود لها الا في خيال الذين اخترعوها! أخبرونا، بحق كلّ الآلهة، هل السود أو الهنود الحمر في الولايات المتحدة، يحكمون أنفسهم بأنفسهم؟ هل العرب أو الفلاشا في إسرائيل، واحة الديمقراطيّة الشرق-أوسطيّة المزعومة، يحكمون أنفسهم بأنفسهم؟ ألا يحق لسكانٍ تبلغ نسبتهم عشرين في المئة من المجموع العام أن يمتلكوا وزيرا في واحة الديمقراطيّة السعيدة تلك؟ الديمقراطيّة التي تُباع الآن في أسواق الخس والبطاطا، في البورصات ومحلات صرف العملة، هي أكثر المفاهيم يأجوجيّةٍ-مأجوجيّة تداولا على الصعيد العالمي، وعلاقتنا به لا تختلف كثيرا عن علاقتنا بالجهاد الأفغاني!

الديمقراطيّة، كما نفهمها، لا تعني حكم الشعب ذاته بذاته! هذا طيران في الهواء بلا طائل! الديمقراطيّة، بالنسبة لنا، هي ضمان حريّة كلّ فرد من أفراد الشعب في أن يعتقد ويمارس كما يشاء-شريطة أن لا يسيء في اعتقاده أو ممارسته إلى غيره: والسلام!

هل تعلمون أنّنا مجرّد حيوانات تقدّمت قليلاً في بنيتها الدماغيّة وتراجعت في كلّ الأشياء الأخرى؟ لا نتفاخر على الحيوانات الأخرى لأنّنا متقدمون شعرة في التفكير عنها ! غباء! هل يمكن، على سبيل المثال، مقارنة حاسّة البصر عند الصقر بمثيلتها عند الإنسان؟ غباء! مع ذلك، فالناس ليسوا كأسنان المشط، كما أفسدتنا الخرافة الإسلاميّة. هنالك شعوب تعيش داخل الزمان والمكان، وشعوب تعيش بمنأى عن هذا الزمان-المكان، رافضة فهم الصيرورة؛ وهذه، برأينا الذي نستمدّه بفخار من أستاذنا داروين، سوف تنقرض- مثل الديناصورات تماما. شعوب هي عبء على كاهل الحضارة، شعوب تستهلك الحضارة ولا تنتجها، كالعرب وغيرهم من الأنواع الإسلاميّة: ستنقرض!!! ومن أجل الحضارة، يجب أن يساعد الجميع في انقراضها. انقرضوا! انقرضوا! انقرضوا! مجرم ذلك الذي سيقف أمام عجلة قطار انقراضهم المودية إلى قعر الجحيم! أغبى أنواع المجرمين!! لا تحاولوا الحيلولة دون هذه الكائنات والانقراض! سوف تقف الحضارة، شاهرة إصبعها في وجه ذلك الغبي الذي أراد أن يحول بين هؤلاء والانقراض!!! كم يبدو أولئك الذين ساعدوا على وقف الحرب الصوماليّة أو الأفغانيّة أغبياء!!! انهم معادون لسنّة الكون!!! دعوهم يموتون!!! الأرض ثقيلة بهم، والأرض الجميلة العروس لا تحبّ إلا أن تكون باستمرار قطعة من الجمال الرقيق المسافر دون أحمال بائدة!!!

٤١

الخيانة!!!

نحن خونة لأننا نمتلك عقليّة مخالفة وأنفاً مخالفاً وجسداً مخالفا؟!

نحن خونة: تلك هي الحقيقة العذراء!

نحن نخونكم كلكم! ونتباهى بذلك! وهل ثمّة أجمل من أن يكون المرء خائنا لمجموعة من الأغنام المفترسة الغبيّة؟

نحن نخونكم؟ لكننا لا نخون أنفسنا!

تمتلكون مفاهيما وطنيّة-قوميّة تشعرون أنّنا نخونها حتى القمّة: أو القاع-لا فرق؟ نعم! لكن مفاهيمكم تلك لا تعدو بالنسبة لنا أكثر من ثريد حامض معفن فاسد مسكون بالبرغش والبعوض! ونحن لا نحبّ تلك المأكولات العربيّة: نحن نمجّجها! ولا نعتقد أن حالة القرف من طعام بدوي مقزّز يمكن أن توصل بصاحبها إلى حبل المشنقة.

٤٢

كان صديقي حاخاماً!؟

أقسم بكل الآلهة القديمة! وكنت أحبّه حتى الذوبان؟ أقسم!

كم تمنيّت أن يأخذني ألبير إليه؛ أن يخنقني برائحته اليهوديّة المضمخّة بطعم البخور والتلمود!

كان صديقي حاخاما؟ وكان يسكن تحت جلدي، يسافر في ثنايا قلبي كقبضة من دم؟ أقسم! أقسم!

<u>إلهي إلهي لم تركتني؟</u>

ما تزال ضحكتك الطفلة تغتصب حنايا ذاكرتي : تطاردني كقط بريّ!

ما تزال رائحتك معشعشة في سريري القديم، وبقايا مناديل الورق التي احتفظ بها كتعويذة ملفوفة كمدرجة في أقدس أقداسي، كتوراه في كنيس جوبر!

كم من الصعب أن نعشق حاخاماً؟

كم من الصعب أن نترك أوردتنا مشدودة على زنار حاخام؟

كم من الصعب أن يسرق حاخام وجهنا ويسافر إلى مكان قريب-للغاية-بعيد-للغاية!؟

ما زلت بغباء أتساءل: يا حاخامي الجميل!

- كم أكره اليهودية، وكم أعشقك؟

- كم أكره المفاهيم العتيقة المتفسّخة، وكم أعشق الإنسان — يا إنسان عيني - المتهالك بأحمال الجمال!

يا حاخامي الرائع: ارم بتلك المفاهيم العتيقة المتفسّخة المشوّهة لقلبك الرضيع، اخلع ثياب كهنوتك الممزّقة بغبار الصحاري ورياح الجنوب، عد عاريا، عاريا بالكامل، كما واجهت الحياة للمرّة الأولى - وكما ستودّعها، لحزن أيامي، ذات لحظة- وتمدّد قرب عينيّ الجائعتين!

كم احتاج أحرف اسمك الخمسة في وطن ينغص باللهاث واللامبالاة!

تعال! أو: خذني إليك - فحين أكون معك تتلاشى الفروق بين الهنا والهناك!

٤٣

هل علينا أن نمنع السباحة في البحر الأبيض المتوسّط لأن هذا البحر الجاحد سمح لنفسه بالاسترخاء على الشواطئ الإسرائيليّة؟

هل علينا أن نمنع مرور الغيوم فوق أراضينا حين تقسم ذواتها بيننا وبينهم؟

هل علينا اعتقال الهواء لأنه لا يخجل من التنزّه في عباءة الحاخام عوباديا يوسف؟

هل علينا منع الأطفال عن ممارسة العادة السرّية لأنّها! مذكورة في التوراه؟

هل علينا أن نرفض كل »هل علينا« باعتبارها اختراعاً حاخاميّاً؟

٤٤

بيولوجياً، العضو الذي لا يستخدم: يضمر. الكائن المسلم العادي أودع عقله أمانة رخيصة عند تلك الطبقة المريضة المسماة بالمشايخ. والمشايخ مرضى بإيداع العقول ضمن كتب محنطة يلعب بها الفئران والعث والأشباح.

الكائن المسلم العادي يخشى استخدام عقله كي لا يوصله إلى حالة إبداع. والبدعة ضلالة، والضلالة في النار.

والشيخ سعيد حتى الثمالة بهذه الوديعة التي يقود بها المجتمع من أنفه: هل أرخص من عالم الميتافيزيك حماراً يركبه الشيخ الذي لا يمتلك أدنى متطلبات الكمال للوصول إلى القمة؟

الميتافيزيك، أو فن الدجل المقدّس، هو صيرورة تحويل عقل المسلم إلى ندبة، سراب، ذكرى...

المصيبة هي أن الجو العام الإسلامي لا يحافظ حتى على الطفرات التي لا تصل إلا كل عشرة آلاف مرة.

نحن طفرة؟! لكن — سنخنق ذات يوم، سنُلحق بمكتبة الاسكندرية!!!

٤٥

لقد ترك المسلمون الخيمة، لكن الخيمة ما تزال تعيش تحت جلودهم، في قلب تلافيف أدمغتهم، في دماء أوردتهم وشرايينهم.

سكن المسلمون ناطحات السحاب، استخدموا أحدث وسائل الراحة، عاشوا في أفخم القصور؛ لكنهم حملوا معهم حيثما حلوا المنقل والأوتاد ودلال القهوة العربية »المرّة«.

ركب المسلمون أفضل أنواع »الجت« وأكثرها أماناً؛ بل إن بعضهم — يا لسخرية القدر — حلّق في الفضاء في بحثه ربما عن الطريق الذي سلكه البراق؛ لكن رائحة الجمال ظلت تفوح من ثيابهم وأنفاسهم وعرقهم — ظل طعم أوبار الإبل ينزف تحت جلودهم عفنية اللون، داكنة الصوت.

٤٦

خرج المسلمون من عصر السبايا والجواري والإماء وراحوا ينافسون ذواتهم في «إظهار» عمق عصريتهم وتحررهم ورفضهم لتقليد »الحريم«: كان »إظهاراً«، »مظهراً«؛ ففي »فيللهم« الأكثر تحديثاً وقصورهم الأعظم رفاهية وتقدماً تكنولوجياً — المسلمون يستهلكون التكنولوجيا ليس إلاّ — يقع كل يوم مزاد غير علني لسوق نخاسة جديد.

ملاحظة:

نسمع باستمرار نغمة سائدة عند ما يسمى بالمسلمين المتحضرين الليبراليين (تسمية تحمل من التناقض الذاتي ما يبعث

على الإقياء) من الذكور، فحواها: «أنا أعطي ابنتي — أو زوجتي أو أختي أو أمي أو جدتي: كلّهن في الإسلام والليل سواء — حريّتها».

تعليق:

الحرية تولد مع الإنسان، لا تعطى له، بغض النظر عن أي بعد آخر.

٤٧

انتهى عصر البسوس والغزوات المتبادلة وحرب الجمل وصفين والقادسية واليرموك حتى آخر تلك القائمة الغبية من الصراعات اللاإنسانية التي لا تهدف إلا للسلب والنهب مهما تقدّست اللافتات، وما يزال ينبض في اللاوعي الجمعي الإسلامي صراخ ذاك المحارب، يحمل في يده سيفا مضرجا بدماء بريئة ورمحا لا يشبه سوى الإرهاب: «الله أكبر!!!».

حروب الجاهلية؟؟؟حروب الإسلام؟؟؟

مغازي الجاهلية؟؟؟مغازي الإسلام؟؟؟

لم يتغيّر سوى اسم الإله.لماذا يسمّونها جاهلية؟؟؟

!!٤٨

نحن علمانيون متطرفون، لا علاقة لنا بالاعتدال، لا من قريب ولا من بعيد؛ ولا نكره شيئا أكثر من تعبير «الأمّة الوسط» – الأمة الوسط: ماء فاتر لا يُشرَب ولا يستسيغه الفم!

نحن ندعو إلى طرد الدين، بآلهته وملائكته وكتبه ورسله ويومه الآخر، من يومنا الأول والأخير؛ نحن ندعو إلى إبعاد الدين عن الحياة العامة والخاصة، مرّة وإلى الأبد! لقد مرّت على

البشرية ألوف السنوات وهي تحكم من كِذَبٍ مقدّسة — الأديان وعللها ومعلولاتها — أوصلتها إلى درك الحضارة الأسفل، فلولا العقل العلماني الغربي لما خطا الإنسان في درب الارتقاء، بل لو أن الدين — وشراشيبه — لم يوجد لكان الإنسان يقفز عالياً كل يوم نحو مطلق غير محدود؛ ومن حقنا أن نطالب بسيادة أكاذيب مادية غير مقدّسة (-نفترض هنا تواضعا أن حقائقنا العلمانية أكاذيب -) لا تحدّد الطموح البشري بأطر ميثولوجية، ويمكن للإنسان شطبها بسهولة (إنها غير مقدسة!!!) إذا وجد أنها قد تعيقه.

٤٩

رجال الدين صنفان لا ثالث لهما: صنف غبي، أرعن، متعصب، يؤمن فعليا بما يقول، ويعتقد أن »حقائقه« تطابق موازين العقل والمنطق (عبارة مريعة حين تخرج من فم شيخ سوري متلفز) (مثلا: قصة هبوط آدم وحواء من الجنة حتى آخر تلك الخرافة الحاخامية الرائحة الحامضة الطعم تطابق موازين العقل والمنطق؛ هل نذكركم أيضا بقصة عمنا نوح الذي جمع في حاملة طائراته الأسد والكنغارو والفيل... لا يسأل أحد أين ذهبت المياه حتى لا يتشكك بإيمانه)؛ وصنف آخر ذكي، خبيث، يعرف تماما أن حقائقه مجرد خرافات يقود بها الرعاع من أنوفهم، لذلك فإن حياته تدور بكاملها حول سرمدة أكاذيب يعتاش من ورائها: هؤلاء، باختصار، ديوك الله الروميّة — كما أسماهم نيتشه.

٥٠

أحدث صرعة بين إسلاميي القرن الحادي والعشرين: الديمقراطية وحرية الرأي. الأغرب: أن هنالك من يصدقهم.

الحقيقة التي لا سبيل إلى إنكارها هي أن رائحة الإسلام «الطالبانية» - الطالبان، شاؤوا أم أبوا، هم الأقرب إلى الإسلام الأمثولي — قد «فاحت» بحيث بدا لزاماً على من يريد تصدير الإسلام إلى العالم تعطيره بما يمنع الآخرين من الإقياء: ومن هنا كانت خرافة ديمقراطية الإسلام وحرية الرأي فيه.

هذا كل شيء.

٥١

لا توجد في الإسلام امرأة محترمة؟ هذا صحيح.

المرأة في الإسلام «متاع» - والبقية تأتي!!!

وماذا بشأن ما تقوله بغايا الماضي، شيخات ومفتيات الحاضر، من «فنانات» مصر المعتزلات؟ لا تصدقوا واحدة منهن. — فالعهر الجسدي أجمل كثيرا من الاستعهار الديني.

في الإسلام يوجد نمطان من النساء لا ثالث لهما: المرأة والجارية. الأولى، الحريم، التي إذا تزوجت ستر الزواج فيها عورة وإذا ماتت ستر القبر بقية العورات، تعيش موتا مؤجلا، خلف جدران الذكر الذي يمتلكها تماما، عملها إنجاب الأولاد لذكر الإسلام الأبدي. والثانية هي الجارية، ملك اليمين، التي تنتقل شبه عارية من رجل لآخر، لا هم لها سوى إرضاء الذكر جنسيا؛ وهي ليست زوجة ولا حريما، ووضعها الشرعي والمدني أسوأ بكثير من البغايا لأنها لا تستطيع اعتزال المهنة — كما يفعلن في مصر —

لأنها ليست ملك ذاتها. لهذا فالإسلام لا يعرف المرأة — الكيان البشري: أمثولتان بارزتان — أم المؤمنين وعريب؛

لا تطلبوا حرية للمرأة، ثقافة للمرأة، وعيا للمرأة، شخصية للمرأة: في الإسلام. فاقد الأصل لا يعطي فرعا.

٥٢

مجتمعنا أكثر أخلاقية بكثير من مجتمع الإسلام الأولي في المدينة.

في مجتمعنا، لا توجد نساء يعرضن عراياً قرب الكعبة أو المسجد النبوي، كما كانت الحالة زمن الإمام مالك، الذي بدوره أنجبته أمه الفاضلة بعد سنوات من وفاة الوالد.

في الإسلام الأولي كانت الحريم قلّة — قلّة محجبة، مقبورة، تحتاج إلى قرار ذكوري حتى إذا أرادت التنفس. وكانت الجواري والإماء (النوع المشرّع من الدعارة)، غير المحجبات (كان عمر إذا رأى امرأة محجبة من غير الحرّات ضربها بالدرة — بديمقراطية — حتى يسقط الحجاب عن شعرها)، يتنقلن بسهولة هائلة من هذا الذكر إلى ذاك — بحسب الإمكانيات المادية. والعدد غير محدد شرعيا: ما دمت تمتلك النقود، تستطيع شراء ما تشاء من النساء والمتعة... مكارم أخلاق.

حين أقارن مجتمعنا القبيسي بمثيله في الإسلام الأولي، أشعر بالفخار: كم نحن أخلاقيون.

من أطرف الأمور في عالمنا المعاصر أن مشايخ الإسلام ومفتييه ومن على شاكلتهم، والذين يسمّون أنفسهم »بالعلماء« (ليس الأمر نكتة أبدا) يعيّنون من ذواتهم خصوما وقضاة لكل من خولته نفسه أن يفكر بغير طريقتهم: في مصر الكنانة أضيف إلى القائمة الغبية أسماء محامي الأخوان أو أي محام نكرة باحث عن الشهرة.

طرفة اعتراضية:

(لأن الإسلام افتقد على نحو شبه دائم أبسط تعريف للعلم بمعناه الصحيح، فقد عوّض عن ذلك بأن أخذ مشايخه، منظري الاستنجاء والاستجمار، وأسماهم علماء. وهكذا، صار يوسف القرضاوي زميلا لألبرت أينشتاين، ومحمد سعيد البوطي زميلا لباستور، ومحمد العوضي زميل... مدام كوري).

»نحن نفكر على هذا النحو« - يقول دعاة التفكير المختلف.

»أنتم كفار« - يقول السادة العلماء!

»نعرف هذا؛ فنحن نكفر بنوعية تفكيركم«. يجيب الدعاة!

»لكن لا بدّ من استتابتكم وتطليق نسائكم أو أزواجكن ومن ثم قتلكم« - يقول السادة المشايخ!

»وما هي حجتكم في دعاويكم هذه يا سادة يا علماء؟« - يسأل الدعاة.

»تقليدنا!! تقليدنا!!« يجيب الوعاظ.

»ولكن تقاليدكم كلها لا تساوي عندنا أكثر من خرافة، ولو كنا اعتقدنا بها أصلا لالتزمنا بأدق تفاصيلها. نحن على الأقل غير منافقين«.

وسار الرعاع يطالبون بقطع كل رأي غير خاو.

٥٤

تقليد مقدّس!!!!إعجازي؟؟؟
وما أدراك أنه إعجازي!
لأن الله أوجده؟
وما أدراك أن الله أوجده؟
لأنه إعجازي!

٥٥

مسرحية إعجازية

مشهد أول: شقة صغيرة أنيقة

بطل١: سوف تتزوجين ابني بالتبني، لا بد أن تتزوجيه.

بطلة١: لا أريد! أنا شريفة وهو عبد! أنا بيضاء جميلة مكتنزة كجبل قشطة، وهو أسود مخيف بشع كالهرري! لا أريده (بكاء حار).

بطل٢: يا ابن خالي، ما هكذا عهدتك! كيف تفرض على أختي هذا الرجل! لا لا! وألف لا. (تعلو نبرة صوته وهذه قلة أدب). لن يمتزج لحم أختي الأبيض بعظام هذا العبد السوداء. لن يمر الأمر إلا على جثتي. (استدار بطل ٢ غاضبا، وخرج من الشقة الصغيرة، وركب الأسانسور، ليستقل سيارته الأميركية الرياضية إلى نادي الغولف القريب).

بطلة ١: (وهي تمسك بالموبايل وتتصل بالبطل ٢ في سيارته): لا تغضب يا أخي لن أتزوجه مهما كان. باي (قالتها بلهجة نيوزلندية واضحة).

ينزعج بطل ١ للغاية، ويغادر الشقة الصغيرة الأنيقة تاركاً خلفه البطلة ١ بين موبايلها ودموعها.

مشهد ثاني: صالة أورينتال جميلة للغاية. نساء كومبارس عديدات يعبرن.

بطل ١: لا تبك يا حبيبي، لا تبكِ...

بطل ٣: لكنها عنصرية، عنصرية. هل يجوز هذا في عصر تينا تيرنر والبروفيسير الترابي؟؟ آه... قسما لأفعلن كمايكل جاكسون وأصبح أجمل شاب في المدينة...

بطل ١: صه. صه! (اضطربت أوداج الرجل الخمسيني الوسيم. ورويدا رويدا بدأ يفقد وعيه).

صوت بعيد جهوري مهيب: أنا فوهوماناه أتحدث باسم سيدي أهورا مازدا. إنه غاضب من فعلة هذين، غاضب للغاية، وهو سيحوّل مدينتكم إلى سدوم جديدة...

مشهد ثالث: الشقة الصغيرة الأنيقة ذاتها.

بطل ٣ وعلى وجهه ابتسامة غبية، والبطل ٢ إلى يساره، وإلى يمينه البطلة ١ تكاد تنفجر من الغيظ، في حين يقوم البطل ١ بعقد القران.

مشهد رابع: المدخل بين الأسانسور وباب الشقة الصغيرة الأنيقة ذاتها! الباب مفتوح! الطقس حار ورطب للغاية. البطلة ١ ترتدي مايوه اشانكريه وتحضّر كأس كوكتيل في شقتها. البطل ١ يفتح باب الأسانسور متوجها إلى شقة ابنه بالتبني. يقف للحظة. ينظر إلى الداخل، يستدير متمتما بألفاظ غريبة. البطلة ١ تضع كومينو بسرعة وتتجه إلى الباب. في الوقت ذاته، يفتح باب الأسانسور ويدلف منه البطل ٣.

البطل ٣: ما بالك يا أبتاه، لونك أقلقني، تفضل، تفضل!!

يمسك البطل ١ بباب الأسانسور ويدخله دون أن ينبس ببنت شفة.

البطل ٣: ماذا فعلتِ، ولماذا خرج والدي على هذا النحو؟

البطلة ١: (تحاول لملمة الكومينو الجابانيز على المايوه الاشانكريه الأسود الفاتن): صدقني لم أفعل شيئا، كنت أعد كأسا من الكوكتيل فجو المدينة رطب وخانق اليوم حتى القتل. جاء فجأة، وكان الباب مفتوحا... ثم... كما رأيت... أوه... No.

مشهد خامس: الصالة الأورينتال ذاتها. النساء الكومبارس ذاتهن.

البطل ٣: لا أريدها يا أبي، لا أريدها... خذها! (بكاء حار) خذها! لا أريدها!

البطل ١: احتفظ بها لنفسك! (حازماً) اسكت...

مشهد سادس: البطل ٣ عارياً في بانيو شقة زوجته الصغيرة.

البطل ٣: ما هذا (وهو يقلب عضوه الذكري)! لقد كبر عضوي إلى درجة مخيفة. ماذا سأفعل ببنطالي السترتش جينز الجديد؟! أوه... No، كيف سأمارس الجنس مع حبيبتي الغالية... (مفكراً!) لا بد أن فوهوماناه لمسه فأوصله إلى حجم غير طبيعي كي لا أمارس الجنس... آه (قفز من المياه والشامبو المضاد للقشرة يتسلل من رأسه)! سأطلقها... هذا قرار أهورا مازدا وليس قراري.

مشهد سابع: البطل ١ والبطل ٣ في الصالون الأورينتال ذاته. تدخل البطلة ١ والإثنان يتناجيان.

البطلة ١: بونسوار.

البطل ١: بونسوار، تفضلي.

تخلع البطلة ١ الشابو، وتضع حقيبتها الجميلة السوداء على السجادة العجمية الغالية. تجلس على طرف السجادة، وتخرج سيجارة من الحقيبة وتشرع بالتدخين.

البطل ١: ها قد طلقتها. اذهب واخطبها لي. إنها أمامك. هيا.

ينظر البطل ٣ بنوع من الاندهاش المتألم. يقف. يعض شفته السفلى الغليظة السوداء بحقد، ويصرخ: كما تشاء يا والدي.

يمشي البطل ٣ باتجاه البطلة ١، ينظر إليها بتردد ملفت، ثم يهمس: ابن خالك، يعني والدي، يريدك زوجة له. قالها والذل يأكل داخله.

البطلة ١ بصلف: لقد تزوجتك من قبل بقرار من أهورا مازدا. ولن أتزوج غيرك إلا بقرار منه. إنه مأذوني و«دادي» وآمري.

وقفت البطلة ١: أطفأت سيجارتها في النفاضة البلاستيكية الفخمة. وضعت الحقيبة على كتفها، ثم استدارت: باي.

رعشة عظيمة تضرب البطل ١، يصفر وجهه ثم يغمى عليه.

البطل ٣: دادي، دادي. لم ترفض. دادي أوه... كم تبدو غبية تلك السمينة المتعجرفة! دادي... Please (قالها بلهجة السود الأمريكان).

يفتح البطل ١ عينه، ويتحلى وجهه الخمسيني الجميل بابتسامة ساخرة: من يذهب إلى ابنة عمتي ينبئها بقرار أهورا مازدا الحاسم. لقد أمر بزواجي منها... لقد...

البطل ٣: أوه، دادي... No.

البطل ١ مقاطعا: لست دادي... لست دادي... لا أريد أن تتحدث طبقة المدينة الـClass أني تزوجت حليلة ابني... أهورا مازدا ألغى التبني... أنت صديقي وربيبي ليس أكثر.

البطل ٣ بانكسار حاقد: لكن... دادي.

البطل ١ بحسم: لست دادي... لست دادي... اذهب واخطبها... هيا.

تدخل البطلة ٢ بشعرها الأحمر المثير ومشيتها المتكسرة، وفستانها الذي يشبه ثوب ريتا هيوارث في فيلم جيلدا، تبتسم وتهمس متهكمة: ما أرى أهورا مازدا إلا يسارع لك في هواك.

٥٦

تأريخ إعجازي:

كان ثمة حاخام ثلاثة أثمان عاقل أراد أن يستنبط ضوابط يقيد بها شعبه الهمجي؛ فلفق لهم قصصا لا يؤمن بصحتها إلا أصحاب المواهب المحدودة، فأمسكهم من رقابهم إلى يوم تقوم الساعة — وهذا أيضاً ضابط حاخامي. ومن تلك المدرسة خرج كل عباقرة مسك الشعوب من أنوفها. كانت التراثيات الحاخامية ضخمة، فراحوا جيلا بعد جيل يصنفونها ويقسمونها ويسمونها حتى أضحى العمل أكاديمياً.

كان موسى أحد أبرز الشخصيات التي احتلت مساحات واسعة في التراث الحاخامي؛ ولموسى هذا نجد أما اسمها يوكابد وأبا اسمه عمران وأخا اسمه هارون وأختا اسمها... مريم. وإذا كان ذكر تلك العائلة المقدسة — كما يفترض — شذرياً في الكتاب المقدس العبراني، التاناخ أو التوراه، فهي تستهلك صفحات كثيرة من الهاغاداه التي نمت على هامش التوراة حتى أكلتها. لكن ثمة مريم أخرى موجودة في الكتاب المقدس المسيحي، الإنجيل، يفترض أنها أم يسوع الذي ثار على التراث الفريسي وقدم شكل إيمان جديد اجتاح به العالم .

في التراث المقدس الإسلامي مريم أم المسيح هي أخت هارون وابنة عمران؛ فموسى بالتالي هو خال... يسوع.

معجزة تأريخية...

٥٧

تأريخ إعجازي صغير:

في أسفار الشريعة الخمسة الأولى من كتاب اليهود المقدس حديث عن عجل عبده اليهود عند غياب موسى في الجبل؛ وفي أحد أسفار الأنبياء الصغار في الكتاب إياه حديث عن سامري وعجل من التصنيف ذاته. في التراث الإسلامي المقدس حديث عن عجل لكنهم هنا، بنوع من الإعجاز التأريخي الصغير، خلطوا عجل الأسفار الأولى بعجل الأسفار الأخيرة، وأصبح موسى المفترض صديقا للسامري... رغم أنه بين ظهور اليهودية كدين وتأسيس السامرية كخلطة مئات السنين....

إعجاز آخر. من كان منكم بلا إعجاز! فليرمني بحجر. هنا، التأويل واجب.

٥٨

المصريون شعب مسوّق...هذا كل شيء.

هل يوجد في مصر ثقافة أو مثقفون؟ فن؟ أدب؟ حرية؟

لا ندري...لكننا متأكدون أن التسويق في مصر يأخذ أحياناً لباس الفن، وأحيانا أخرى لباس الثقافة.

حين كانت مصر في النصف الأول من القرن العشرين تعيش وهم «ليبرالية — تعددية» بقيادة هذا المليك — البوبيت أو ذاك، كان المثقفون المصريون — هكذا يسمونهم - وخطوطهم الخلفية من فنانين وراقصات يحملون راية تسويق تلك «الليبرالية — التعددية». وحين ضربت مصر الكارثة الصوتية المسماة بالناصرية، تزاحم الفنانون لتسويق مفرزات تلك المرحلة، وأضحى الرقص الشرقي

الملتزم، على سبيل المثال، المسوق الأعظم للقومية العربية والمثل الإشتراكية كالتأميم ومكافحة الإمبريالية و«لا صوت يعلو على صوت المعركة». ولما جاء الرئيس المؤمن بعد الرئيس القومي الإشتراكي، حمل الفنانون والمثقفون المصريون راية الإيمان والإسلام. وكالعادة، كان الرقص الشرقي الرافد الأهم للأسلمة عبر كرنفال العته الإسلامي الذي تجلى بأبهى صوره عبر تحوّل الأخوات الرقاصات من النضال في الحانات والأسرّة إلى النضال في المساجد... و... الجسد العاهر ذاته... إن في بذلة الرقص أو في النقاب!

٥٩

كم يبدو بعض الغرب وجمهور العالم الأوّل سخيفاً!!!! كم يبدو معاديا للحضارة والتقدّم والإنسانية!!!! كم يبدو غبيّاً!!!! صحف، كاميرات تلفزيونية، أجهزة إعلام مختلفة، هجمت فجأة على إحدى دول إفريقيا الوسطى الشرقية (بوروندي، رواندا، تنزانيا، كينيا — لا يهم: فكلّهم في السواد سواء) لأن قبيلة متوحشة فيها هاجمت قبيلة متوحشة أخرى منافسة وعملت فيها تذبيحا وتقتيلا؛ ثم سمعنا بغزوات إعلامية أخرى على دولة غبية أخرى في القارة ذاتها حيث سود مسلمون ينطقون بالعربية يريدون فرض شريعتهم الإسلامية السمحة (كم تبدو المفارقة صارخة حين نتلمس معالم التمييز العنصري الفاضح -«اسود وجهه...» - في التراث الإسلامي!) على سود آخرين غير مسلمين ولا ناطقين بالعربية حررتهم الطبيعة الرائعة من كل الشرائع البائدة. وبين الضينة والأخرى تصدمنا وسائل الإعلام بغبائها في تقصّي أخبار المجاعات والصدامات من كل الأنواع في القارة السوداء غير الكظيمة.

ويصل الغباء في وسائل الإعلام تلك إلى قمة اللاعودة حين يهرول الإعلاميون الباهتون أولئك، حاملين على أكتافهم نعوش إنسانية مزيفة، إلى بلد الإرهاب والفقر والقتل والتصحّر والإسلام — أفغانستان!!!! ويبدأون النقيق، كضفادع تعاني من فقرد دم مدقع، حول عذاب «الإنسان» في أفغانستان.

هذا أكبر عداء للإنسانية !!!! هذا أكبر هجوم على الحضارة في عقر دارها!!!! الحضارة، في مسار تقدّمها، كانت تقضي، دون رمشة جفن أو لحظة ارتعاش أو تردّد، على كل ما هو معيق لمسيرتها محبط لتطلعاتها.

نشوء الحضارة وارتقاؤها يعني، ببساطة تامّة، أنه يجب القضاء على كل ما هو معاق «فكرياً» أو «بيولوجياً» عن المساهمة في الدفع — أماماً، فما بالنا بأولئك الذين يعملون للدفع — خلفاً.

الأفغان — كمثال ليس إلا — هم المثال الأبرز منذ ربع قرن على العقيدة حين تعيق البشري كي يصبح إنسانا؛ والسود: مثال واضح على الإعاقة البيولوجية. حين نحلّ مشاكلهم؛ حين نساعدهم على أن يعيشوا أكثر، فنحن نعمل ضد الحضارة وضد الإنسان. هؤلاء، ومثلهم كثير، لا يستأهلون في عالم التحضر الإنساني غير أن يمدّوا بأسلحة من كل الأنواع حتى يفنوا... فدونهم، يمكن للحضارة أن تحلق بخفة أكثر، حتى تصل إلى الله.

ملاحظة: السودان حالة فريدة (-وربما الصومال أيضاً-) فهو يجمع بين الإعاقة الفكرية في عقله (إن صحت التسمية) والإعاقة البيولوجية في لونه. لذا، يجب أن يكون تسليحه مضاعفا.

٦٠

ما حقيقة هذا القول المسوّق في المحطات ووسائل الإعلام المدعومة من بدو النفط، الذي يزعم فيه أن الإسلام صامد لقوة عقيدته في حين أن الأديان الأخرى — كاليهودية والمسيحية — تتراجع لهشاشتها عقائديا؟

لأننا لا نحب الإسهابات المشايخية والتأويلات الباطنية، نقول بصراحة تامة: الإسلام، كشريعة، مأخوذ بالكامل تقريبا، عن الهالاخاه اليهودية؛ والإسلام، كحكايا (ما يسمى بقصص الأنبياء)، مأخوذ أيضا عن الهاغاداه اليهودية؛ فكيف يمكن أن تسقط الهالاخاه - الهاغاداه بهذا الضجيج الفاقع، في حين تظل الشريعة — الحكايا صامدة بهذه القوة المقيتة؟

الفكر النقدي الغربي. ما حمل التراث اليهودي إلى أقرب صفيحة زبالة كان الفكر النقدي الغربي. وهكذا تهشهشت الديانة اليهودية حتى التهلهل. لكن قبضة الإسلام الاستبدادية، جدرانه الحديدية، رفضه للآخر تحت العناوين المقدسة: كل ذلك منع العقل النقدي من ملامسة رؤوس المسلمين. ولولا ذلك، لأحيلت طالبان والشيخ القرضاوي ومن على شاكلتهم إلى متحف الكائنات المنقرضة، تماما مثل الربان الأعته، عوباديا يوسيف.

لكن: انتظروا قليلا، فعهد الجدران انتهى...

٦١

كم تخلّف وتراجع وتبعثر وتقهقر هؤلاء الناس المسمّون بالعرب «المسلمين»... في بدايات القرن العشرين، كان طه حسين ومحمد عبده وعبد الحميد الزهراوي وعبد الرحمن الكواكبي وروز

اليوسف وأحمد أمين وعباس العقاد... الطليعة المكوّنة للوجدان الشعبي ولنبض الشارع؛ في بداية القرن الحادي والعشرين، بالمقابل، صار يوسف القرضاوي وسحر حمدي ومحمد سعيد البوطي وياسمين الخيام ومحمد العوضي وزيزي مصطفى... حملة رايات الوعي ومشاعل نور الجماهير الكادحة. إن أوضح مثال على التدني المريع لسوية الإسلام معرفيا، هو استجداء محطة الأخوان المسلمين (بالمناسبة: هنالك تنسيق بين هذه المحطة والتلفزيون السوري؛ هل يمكن أن نذكر بأن الأخوان لم يكونوا أخلاقيين كثيرا في العقدين السابع والثامن من القرن الماضي في سوريا؟!) لإحدى الرقاصات التائبات كي تعطي جمهورها من المشاهدين دروسا في الدين والأخلاق! إن برنسيسة الرقص الشرقي هذه، والتي ساهمت — مشكورة — بقوة في وضع أسس العهر في بيروت في النصف الثاني من ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، حين كانت في العقدين الثاني والثالث من عمرها، حوّلت بكل رحابة صدر إلى الدين، بعدما وصلت إلى تخوم الستين؛ ولم تكتف بهذا، بل قامت بما هو معروف عنها من حب للاستعراض «المبتذل»، بتعميم تحوّلها على تلك الكائنات الغبية المتابعة لتلك البرامج السخيفة في تلك المحطة الاستعهارية.

البرنسيسة، والمذيع الإسلاموي الذي أجرى اللقاء معها والذي مهما حاولت كل البرنسيسات أن يصلن إلى سوية عهره محال يعرف ذلك تماما، لا تستحق بحسب الشريعة الإسلامية التي تسوّق لها كأحد أنواع العلكة سوى... الرجم حتى الموت!

لا نعتب على الرقاصة، لأنها... رقاصة.

ولا على المذيع، لأنه مذيع... مصري!!!

ولا على المحطة، لأنها للأخوان!

نعتب على القدر الذي جعلنا نعرف اللغة العربية كي نفهم هذا الهراء؟

ملاحظة:

ممثلة معتزلة (بعد الستين طبعاً)، كانت متزوجة من يهودي في شبابها، وتزوجت قبل اعتزالها من رجل «إسلاموي» يصغرها بثلاثين عاما، أذاقها طعم «الإيمان»، ظهرت أيضا في محطة يفترض أنها «محترمة»، نقلت فيها إلينا، بتمثيل سوقي، كيفية اهتدائها، و«تحجبها»...

ملاحظة:

إلى تلك الكائنات الفقهوية الغبية، نقول: إن الحجاب، في الشريعة الإسلامية، مفروض فقط على النساء الحرّات؛ أما الإماء، «فعورتهن» بين الركبة والسرة، وأحيانا فتحتا القبل والدبر — مسلمات كن أم غير مسلمات. وإذا ما علمنا أن الإماء كن الغالبية الساحقة «جدا» في مجتمع الإسلام الأولي، فمجتمع كهذا لا نعتقد أنه يشبه غير أحد استوديوهات أفلام البورنو... ولا مجال لمقارنتنا أخلاقيا، به...

لا حاجة بنا لأن نقول: إن عورة تلك النسوة مسوقات التوبة، إسلاميا، هي فتحتا القبل... والدبر: واسألوا ابن حنبل.

٦٢

في السوبرماركت العتيق، الذي أكلته العناكب والأفاعي والعقارب، الذي يحمل اسم «الدين»، يوجد رف لا يحتوي إلا تلك البضاعة التي انتهى مفعولها منذ أربعة عشر قرنا: الإسلام. وأكثر البضاعة سمية — لمصادرة العقل والحواس والمحاكمة — في الرف السيء الذكر المذكور آنفا، هي تلك التي تحمل اسم: الإسلام

السني. لماذا تركض الناس إليها إذاً؟ ببساطة!!! لأنها الأرخص كلفة عقليا... هذا كل شيء.

٦٣

كم يبدو محبطاً أن نسافر «خلفاً» في القرون حتى نصطدم بالجماعة الإسلامية الأولى. «رجال حول الرسول» - هل كانوا فعلا «رجالا» حول ذلك الرسول؟ وماذا بشأن النساء؟ لا تسأل. النساء في الإسلام «متاع»: والبقية تأتي.

هل باستطاعتنا إزالة غشاوات القداسة التي أضفتها القرون حول تلك الشخصيات الكاريكاتورية بحيث نفهمها كما هي حقا. لا كما تجمّلها لنا أقلام الزيف وعمامات الدجل؟

لنبدأ بأبي بكر المدعو «بالصدّيق» (لقب يهودي مئة بالمئة): شخصية «إمعية» نصف مهترئة، تبكي لأتفه الأسباب، لا علاقة لها بمسائل الوعي أو العلم — بمنطوق ذلك العصر — أو الثقافة: البدوي بلا منازع.

خالد بن الوليد الذي لقّبه الرسول بسيف اللهِ المسلول — كم يبدو جميلا هذا الإله المحارب الذي يحمل سيفا مسلولا!!!! لكن ماذا يفعل الله، ذو السيف، في أيامنا هذه حيث الصواريخ العابرة للقارات و... — الذي لم نسمع عن مكرمة له في طول الإسلام وعرضه سوى القتل!!!! هذا السيف المضمخ بدماء الأبرياء!!!! خالد بن الوليد هو واحد من أسوأ المجرمين في تاريخ البشرية: نعم، فهذا الخالد القاتل خالف حتى شرائع رسوله محمد، داسها بحوافر جواده، حين قتل بعض المسلمين من بني خذيمة؛ واكتفى الرسول الأعظم بأن ابتهل إلى الله بقوله: اللهم إني أبرأ إليك مما

فمل خالد: قالها ثلاثاً! يا لطيف!!! ابن الوليد هذا ليس مجرماً بحق بني جذيمة (ومالك بن نويرة...؟) فقط، بل هو مجرم بحق حضارة سوريا الكبرى العظيمة حين قاد جيوش أولئك البرابرة لتدوس أعظم حضارة في تلك الآونة، تحوّلها إلى ركام غبي لأشعار وهاغداه يهودية باللغة العربية.

وعمر بن الخطاب، «فاروق» بني إسرائيل!!! لا أعرف عمق العبقرية عند ذاك المفكر المصري الجهبذ حتى اخترع وصفا لعمر هذا: العبقرية. عمر بن الخطاب هو النقيض تماما للصفة. رجل يحتاج إلى سنوات طويلة كي يتعلم سورة البقرة (ماذا لو أراد أن يفهم Zein und Zeit لهايدغر؟!)؛ رجل ما أن يغضب حتى يبدأ بعضّ يده (تصوروا حاكما يعضّ يده أمام رعيته!!!)؛ رجل لا همّ له سوى حمل درته وتحطيم كلّ ما يقابله أو يقف في طريقه؛ رجل يدّعي أنه مسلم ثم يخالف شرائع محمد بلا ملل ولا وجل. عمر بن الخطاب: دكتاتور غبي أوصله سوء حظ الحضارة إلى سدّة الحكم في تلك البيئة البدوية المتعفنة فمدّ أصابعه المشقّقة إلى صولجانات وتيجان أعظم البنى الثقافية لذلك العصر: حطمها!!!

والباقون!!!

يختلفون في درجة الكاريكاتورية عن تلك النماذج المذكورة آنفاً: لكن ليس في نوعيتها.

«كاريكاتورات حول الرسول».

٦٤

ما أن يقال «تتار» حتى يتداعى إلى ذهني «عرب مسلمون».

ما أن يقال «هولاكو» حتى تلامس ذاكرتي صورة الفاروق «عمر بن الخطاب».

وا ذلاه! كيف!!!

ألا يعتبر المغول هولاكو بطلاً قومياً وفاتحاً وعظيماً من عظماء التاريخ وفاروقاً ربما؟؟؟ لمَ لا!! التعصّب القومي يعمي البصيرة ولا يعود المرء يرى الحقيقة إلا عبر نظارة التعصّب!!

إن كل العرب المسلمين يعتبرون هولاكو وبالاً على الحضارة حين أقدم على إحراق مكتبة بغداد ورمي كتبها في دجلة... لكن ألم يحرق عمر بن الخطاب مكتبات عصره لأن ما فيها لا يناسب القرآن الذي لم يفهم سورة بقرته إلا بعد مراس استمر سنوات؟؟؟

قتل هولاكو ودمّر كأي بربري... لكن ألم يقتل العرب المسلمون، على سبيل المثال، حامية غزة المسيحية حتى الرجل الأخير؟

وماذا بشأن «الشروط العمرية»؟ الغريب أن هنالك منّا، من الأغبياء، من يصدّق أصحاب العمائم أو نسخهم المعدّلة حين تصدمنا في وسائل الإعلام بحديثها عن حقوق الإنسان في الإسلام.

نكتة:

ثمة شيخ عراقي شيعي طرده (لسوء حظنا!) صدام حسين إلى سوريا، سمعت أنه يؤلف كتاباً عن حقوق الحيوان في الإسلام.

ملاحظة:

أسوأ كارثة حضارية حلّت بسوريا في السنوات الأخيرة، طرد صدام حسين لبعض شيوخ الشيعة من قطره الدامي نحو الغرب.

كان ثمة حاخام خبيث مريض بكلّ عقد البداوة والدونية والحقد على الحضارة: وكانت روما العظيمة! نظر هذا الخبيث المريض إلى ذاك الصرح الحضاري الشامخ، إلى رجاله الوسيمين

بأجسادهم شبه العارية ورغباتهم الجامحة وتطلعاتهم المجنونة؛ تأمّل وجوههم المسكونة بشبق غير خجول، وصدورهم الراعشة بصراخ «الأنا» المتوثبة، وسيقانهم القاسية المغزولة عضلاتها بطعم الانطلاق؛ ثم عاد وأمسك بمرآته القذرة وراح يتفحص قسماته: وجه بدوي أقرب ما يكون إلى لون العفونة؛ أنف بارز بشع مقوّس؛ شفتان رقيقتان زرقاوان تشعان بالحقد؛ جسد صحراوي أجرد هزيل؛ ظهر أحدبه الجوع والعادة السريّة. «آه»! صرخ؛ وكسر الحاخام الخبيث المريض مرآته القذرة.

اجتمع سنهدرين العجزة والخبثاء والمرض، وقرر بالإجماع: «حضارة روما كافرة، وبداوتنا مؤمنة: بداوتنا أهم من حضارة روما بما لا يقارن». ووقع الجميع القرار الخطير.

ولأن كهنة العادة السرية عاجزون عن أن يكونوا رومانيين، اخترعوا لذواتهم روما خاصة بهم — روما بشعة، مقرفة، مترعة بالأسرار والطقوس السرانية وتفاهات العقل المظلم. كانت أورشليم نقيض روما.

... ومن هنا جاءت الأخلاق. الأخلاق، بطعمها الحاخامي الحامض، تعني أن تقيّد جسدك ورغباتك وجنونك وأحلامك لأن حاخاما مريضا حقودا ادعى ذات مرة أن يهواه أمره بذلك. (يهوه، بالطبع، بدعة حاخامية استخدمها كهنة العادة السرية لسوق الرعاع من أنوفهم!!!). واستوردت مكة، عبر أحدهم، تلك الوسيلة الحاخامية؛ ثم صدرتها إلى العالم.

ما ذنبنا نحن، إذا كان شباب روما مضمخين بالجمال والفتوة وحب هذا العالم؛ وكهنة العادة السرية، بدو النقب، أتباع يهوه، بشعين وهزيلين ومسكونين «بالرغبة» بالعالم الآخر؟.العالم الآخر:

الكذبة الأخرى التي استطاع بها كهنة العادة السرية فرض منظومتهم الأخلاقية على العالم.

»واسألوا الإسلام«!!!

٦٦

محزن جداً ومثير للشفقة وضع الإسلام بعد عشر سنوات - على الأكثر!!! ماذا يمكن أن يفعل هذا البناء الرملي الهائل حين سيصبح التواصل الحقائقي بين البشر مذهلا، ويكتشف المسلمون - يا حرام - أن ما آمنوا به على مدى خمسة عشر قرناً كان كذبة كبيرة.

الآن، دكتاتوريون جدد مثل القرضاوي والبوطي وشاهين والبنا والبدري (لا تنسوا الأزهر »الشريف«) يستطيعون التدخل لمنع هذا العمل أو ذاك؛ يستطيعون وضع أكياس قمامة سوداء على رؤوس أتباعهم وتابعاتهن (هؤلاء أهم) لمنعهم ومنعهن من رؤية شمس الحقيقة - لكن ماذا يمكنهم أن يفعلوا إن صارت الانترنت داخل الساعة أو جهاز الهاتف آو...

أتمنى فقط أن يمتد الزمن بتلك الطغمة الحاقدة من دكتاتوريي الدين أعداء الفكر كي يشهدوا بأم أعينهم انهيار «صرحهم» الرملي مرة وإلى الأبد!

٦٧

سؤال:

لماذا يدافع المشايخ عن قداسة التراث؟ لماذا يكره المشايخ إعمال العقل في هذا التراث، والتعامل بموضوعية في ركامياته الوثنية المتعبة؟

لماذا يكفر المشايخ كل إصبع يشير بالاتهام إلى هذه اللحظة التاريخية أو تلك؟ لماذا يخشون الكشف عن الوجه الحقيقي لجماعة القديسين الأولى التي يبدو أن قداستها كانت عرضا لخلل نفسي مقيم؟

جواب:

لأن الطائفة نصف العاقلة المسماة بالمشايخ والتي لا تمتلك من صفات الكمال غير ادعائها بانتمائها إلى كمال السابقين — السلف الصالح — وأرثوذكسية عقائدهم وتصرفاتم، ستذهب مباشرة إلى أقرب مصح نفسي حين يُكشف المستور ويظهر أن كمالهم المزعوم هو أكمل وهم حقيقة عرفه التاريخ. وسيتركهم الجميع.

٦٨

وهل هنالك أغرب من العقل الإسلامي (إن صحّت التسمية) في هذا العالم شيء؟!

المسلم يعتقد أن الله أعطاه بذاته شريعته وحكاياه وقصص بني إسرائيله عبر نبيه المفضل — محمد!!! لا اعتراض.

المسلم يعتقد أن الله وملائكته يتكلمون العربية، وهي لغة أهل الجنة، لذلك «أنزل» كتابه العزيز بتلك اللغة!!! ورغم تساؤلنا

المشروع عن إمكانية النطق عند الله وملائكته قبل العربية؛ لا اعتراض.

لكن الأكثر غرائبية أن يطلب المسلمون من غير المسلمين أن يؤمنوا بكل ركامهم الفكري العظيم الآنف الذكر ذاك؛ وإذا لم يؤمنوا... فإلى جهنم وساءت مصيرا...

٦٩

السؤال الأذكى الذي تتداوله الغالبية الساحقة من هذه الكائنات المفرطة في عقلانيتها المسماة بالمسلمين: «لماذا لا يؤمن اليهود والمسيحيون بمحمد، ما دمنا نؤمن نحن» بموسى والمسيح؟».

ماذا يمكن أن نسمّي أهل الكتاب بعدها؟!

٧٠

نحن أقوى من المشايخ؛ لأننا لو لم نكن كذلك، لما لجأوا إلى أسوأ المسؤولين سمعة، يلعقون أقدامهم، كي يمنعوا أعمالنا!!!

نحن أقوى من تراث المشايخ وكتبهم وأحجبتهم لأنهم لو وثقوا بها، لحاربونا بسحرها وطلاسمها!!!

نحن أقوى من آلهة المشايخ، لأنهم لو عرفوا أن باستطاعة آلهتهم مساعدتهم، لصلّوا إليها ضدنا، وابتهلوا وبكوا وأقاموا الليل... والنهار!!!

٧١

خطاب المشايخ نفاقي؛ لا، لا، حتى لا ننافق، خطاب الإسلام كله نفاقي. هل تريدون أمثلة؟! حاضر.

حين يكون المسلمون أقلية في بلد ما، كالهند الهندوسية، نجدهم يدافعون بعنف وشراسة عن العلمانية، ويرفضون تطبيق شرائع «المانو سامرتي» العظيمة على أساس من تلك العلمانية، الحق الذي يراد به باطلا!!!! أما حين يكون المسلمون غالبية ولو ٥٠,٠٠٠١٪ فإنهم يرفضون العلمانية ويشتمونها ويدعون إلى تطبيق شرع الله وحكمه... يكفي؟!

٧٢

المرأة الشيخة؟! وهل ثمة أسمج من هذا السؤال وأكثر تناقضية؟! كم يجب أن تكون المرأة كارهة لذاتها، ماقتة لذاتها، مقرفة من ذاتها، حتى تحس أنها شيخة؟!

باستثناء اليهودية الأرثوذكسية التي لا يجاريها أحد في الغباء والإضلال الذاتي، فالإسلام «بلا منازع» سيد احتقار المرأة، ولا حاجة بنا لإيراد ذاك الركام المخيف من الروايات في التصغير من شأن النساء وتحقيرهن؛ وحين تصبح المرأة شيخة، أي تصك فتاوى في الإسلام، فإنما هي تؤدلج لتحقيرها الذاتي.

هل فهمنا أخيرا؟!

٧٣

ماذا لو قلنا أن شيخ قبيلة من أتباع الإله «هانومان» الهندي، افتقدت زوجته، التي لم يكن عمرها آنذاك يتجاوز الخامسة

عشرة، عقدها في إحدى رحلات القبيلة في الصحراء، وظلّ الجميع يبحث عنه حتى وجدوه؛ ولما كانوا قد ابتعدوا عن المياه في بحثهم، فقد عدل هانومان شرعه بأن سمح لهم بالتيمم كي يصلّوا. عقد مراهقة عدّل شرع الله. المراهقة ذاتها وعقد آخر في رحلة أخرى، حيث ضاع العقد وظلت المراهقة تبحث عنه برفقة شاب آخر حتى نسيتهما القبيلة. ولما عادا ومعهما العقد الأسطوري، اتهما بالزنا. وتدخل هانومان هنا أيضا ضد أفراد القبيلة السيئين، وفرض شرائع عقابية انتقم بها منهم للمراهقة الشقراء. عقدان رخيصان يجبران الآلهة كي تعدل شرائعها. ماذا لو فقدت أشياء مثل جواهر العائلة البريطانية المالكة؟

هذه الحكاية الأغرب ننقلها للمسلمين كي يبشروا بها في كشمير وغيرها ضد الهندوس الذين ما يزالون يؤمنون بهانومان.

٧٤

نحن لا نكره الإسلام، على الإطلاق... ولا نحقد عليه. الكراهية والحقد غريزتان رفيعتان لا يليق بهما الإسلام. حين أكره شيئا أو أحقد عليه فذلك يعني أنه «على الأرجح» أفضل مني... بكثير.

نحن، ببساطة متعبة، نشمئز من الإسلام؛ نتضايق منه؛ إنه يزعجنا كما برد الصيف يسبّب التلبك المعوي. وحين نرى أو نسمع أو نشتم شيئا إسلاميا، كمرأة محجبة على سبيل المثال، نسارع إلى الموسيقى الرفيعة، نتطهّر بها.

٧٥

كم يبدو الدعاة الإسلاميون منافقين وهم يتبجحون حول مثالية الإسلام الأولي وروعته. إنهم يعرفون تماما أن هؤلاء الرعاع

الذين يقفون خلفهم لا يقرأون. ولو قرأوا، لسقطت هالات القداسة بالكامل عن تلك الدمى الموثّنة.من هنا، يمكن تفسير الهجمة الهاجرية التترية على أعمالي، والتي يحمل لواءها، عمر بن الخطاب – هولاكو سوريا، محمد سعيد رمضان البوطي، الذي لا يكلّ الحديث عن ديمقراطية الإسلام وتوافقه المطلق مع متطلبات العقل والمنطق.

»نحن نعقلن الماضي، بحيث ترمى القداسات آلياً في سلة الزبالة«.

٧٦

تخيلوا الشيخ راتب خضرة❖ (يستطيع الدخول بكل الثقة في »غينيس« باعتباره أتفه رجل دين عرفه تاريخ بلاد الشام منذ أيام السومريين) يصلي الجمعة في مسجد الناصرية! فجأة! وصل بائع »القضامة« من الشام! فجأة!! يسمع الصوت الأخوة المؤمنون الواقفون كالطود خلف الإمام الجميل!! فجأة!!! يتدافعون جميعا كذباب بير الأفاعي إلى بائع القضامة كي يشتروا ويبيعوا!!!! فجأة!!!! ينظر الشيخ راتب خلفه فلا يلحظ من صحابته سوى

❖ هذا الكائن المسلم كفّرني (حقاً!!!؟؟) عندما جئت إلى قريته التعيسة – وكانت وأهلها ملكا لعمة والدي فحرّرت بعد الغزو الاشتراكي لسوريا – كي أعمل صيدلانيا، بحسب الهالاخا الرسمية. وبعدما بحثت في تاريخه الإسلامي المجيد، علمت أنه كان طالبا في كلية الزراعة، وفشل، فراح يعمل في محطة بنزين لأحد أقاربه الأغنياء، ولما تطايرت شائعات اللصوصية حوله، نبتت له ذقن، وتحول – كالعادة – من لص هاو إلى شيخ محترف. بالمناسبة، ثمة ممثل مصري يزعجنا بطريقة نظامية عبر محطة إخوانية شهيرة هو محسن محيي الدين. هذا الكائن الإسلامي كان عشيقا ليوسف شاهين ذات يوم؛ ولأنه خبير للغاية في أمور بعينها، أوصله يوسف شاهين، رغم افتقاده لأبسط متطلبات النجومية، إلى بطولات لا يحلم بها أحد. ولما حكى شاهين تلميحا عن علاقته بالمذكور في أحد أفلامه، نبتت للمذكور ذقن، واحترف الألوهة...

أيسر وعبد الجواد وشخيتر؛ وفي مصلى النساء السيدات أم نواف وأم باسل وأم أسعد!!!!
ماذا سيحصل؟!

سوف يكفّرهم جميعاً، وربما يطردهم من الناصرية باتجاه العطنة أو المنصورة. وربما سيطلب من عبد الجواد، الصحابي الأميز، أن يكتب فيهم تقريراً للأمن السياسي بتهمة إهانة الآلهة. بل ربما سيطلب من صحابياته المحترمات أن يتوقفن عن تقديم خدماتهن في قرية القداسة الشهيرة تلك.
الشيء ذاته حصل يوما مع محمد. لكن الفرق هنا، هو انزعاج الإله القوي، وتأنيبه للصحابة بعد الحادث بلغة لا تخلو من التقريع.

٧٧

«ديرعطية» بلدة جدتي، واحدة من أجمل القرى في سوريا وأكثرها تحضراً. فجأة!! أُرسل إليها شيخ من دمشق لأنهم اكتشفوا أن الحضارة معادية للدين، وأنه كلما ازدادت البلدة توعيا، ازداد بعد أبنائها عن الخرافة واعتناقهم للتيارات العلمانية المحلية. وهكذا، جاء شيخنا ليعيد ديرعطية إلى عصر الظلمات. خمسون عاماً من العمل التحضري في البلدة، قضى عليها الشيخ بأشهر قليلة. فجأة!!! انزعج أهل «الضيعة» وثاروا على شيخهم المقدس وطردوه شر طردة... لماذا؟

لأنه زرع التفرقة بين المسلمين والمسيحيين وكاد أن يحدث فتنة؟!

لا!!

لأنه استبدل العلم بالخرافة والعقل بالجنون والحياة بالموت؟!

لا!!

لأنه أعاد النساء إلى عصر الحريم، وحجّب تسعين بالمئة من نساء المنطقة بعدما كدن يتناسين تلك المسألة المريعة؟!

لا!!

لأنه... لقد عجزت.

طردوه، لأنهم زعموا أنه يغتصب الفتيان الذين يتعلمون عنده.

ماذا؟! لكن هذا أسهل كثيرا من إساءاته الحضارية للبلدة!!!

مع ذلك، ثمة مشايخ شبان كثر ما يزالون يحملون رايات التخلف ذاتها، ويدورون صباح مساء لفرض العته الديني على المجتمع «الديرعطاني».

ملاحظة بسيطة:

كل الشيوخ الحاليين في «ديرعطية» تقريباً، كانوا يوماً تلاميذ للشيخ آنف الذكر.

٧٨

آخر نكتة عند الجماعات الإسلامية، الأخوان المسلمون على وجه الحصر، الديمقراطية!!! لن يصدّق أحد؟ لا!! على الأقل، هكذا يقولون. وماذا بعد؟ نحن نصدقهم. إنهم بالفعل يريدون الديمقراطية! لكن ليس الديمقراطية كما نفهمها نحن، بل كما

يفهمونها هم. كيف؟. اسمحوا أن نمارس عليكم قليلاً دور الأستاذ، واسمعوا ما يلي:

الديمقراطية، كما يسوقها الأخوان المسلمون، هي فقط ديمقراطية سياسية، بمعنى أنهم يريدون ديمقراطية توصلهم إلى كراسي الحكم؛ وبعدها؟ «يخلق الله (يعني: هم) ما لا تعلمون». لكن ماذا لو طالبنا بديمقراطية متكاملة؟ كيف؟! ديمقراطية معرفية أولا وسياسية ثانيا. ديمقراطية معرفية؟ يعني أن يحكي واحدكم، ينتقد، يكتب... كما يشاء؟ نعم!!! أن يعتدي على حدود الله؟ في الديمقراطية تلين حدود الآلهة! هذا كفر...

الإسلاميون يريدون ديمقراطية سياسية لأنها قابلة «جداً» للاستخدام من قبلهم، و«لا» يريدون الديمقراطية المعرفية لأنها تطيح بأسسهم الواهية، مرة وإلى الأبد.

ومن لا يصدّق، فليسأل الحاج محمد عوباديا يوسيف!!!

٧٩

ليس الإسلام أحد أشكال العنصرية: إنه العنصرية. هذا ما لا يجرؤ أحد على قوله. هل قرأتم ورأيتم أحكام أهل الذمة؟!

٨٠

ماذا سأفعل أنا، الذي يحب البصل والثوم، إذا كان محمد لا يحبهما؟! وماذا سأقول إذا كان يكره النبيذ — وأنا أهواه؟ وكيف سأتصرف إذا كان يعشق الطفلات الصغيرات، كالحميراء الشهيرة، وأنا لا أحب إلا الأنموذج الناضج؟! وإلى من ألجأ إذا كان

مغروماً بالسيمينات البيضاوات — كزيف، وأنا أرى أن نعومي كامبل شكلا بشريا أروع!؟

محمد — تجربة خاصة للغاية، بشرية للغاية، لا يمكن فكها عن زمانها ومكانها. فلماذا يريدون تحويله إلى روح أبدية لا يحدّها شيء، لا يستطيع شيء تأطيرها، بل ويطالبون بفرضها، كأخلاق وشكل حياة، على كل من تطاله أيديهم؟

سأصفق كثيرا لظهور فرويد جديد محمدي...!

٨١

نحن كفّار!!! تلك هي ميزتنا الأبرز في عالم الدجاج والنعاج المسمى بالأمة الإسلامية. نحن كفار: ولا فخر!؟

فقط، ما نرجوه من المسلمين «الديمقراطيين» أن يتركوا الإله — إلههم أو إلهنا: لا فرق — يعاملنا ببطء، كي يطول بنا الزمان، وتمتد أعمارنا الممتلئة بالذنوب، بحيث لا نصل إلى القبر إلا بأمل راسخ أن الإله سيضعنا في الدرك الأسفل من النار.

نرجوهم، فعلا، أن يتركوا للإله، لا لأنفسهم، مهمة التخلّص من عبئنا الذي نعتقد أنه غير سهل... وشكرا.



ومناة
الثالثة
الأخرى

كم أشتاقك؟!
كم أنصهر فيك وأتصفى منك؟

كم أطارد نبرة صوتك المتهدّلة، كشال من حكايا آخر الليل — أتهجّد بها في دروب التراخي غير المتناهية؟!
إلى أين أمضي في كون أسوار الصراخ هذا؟! إلى أين أهرب؟!

- هل يستطيع المرء أن يرتحل من دمه؟!

إلى متى أترك »أناي« على شاطئ الصُدَفِ وأبحر فيك نحو جزر شاردة لا يستوطنها غير الرطوبة والصهيل والرغبات غير المدجنة؟!
من سيخرجني من شرنقتي....؟!
تعبت... يامحمد...تعبت
أثقلتني خيوط أوثانك، تلفّ عنقي وأيامي وحلمي القادم بتحليق غير مسبوق؟!
أحرقني لهاثك النازف، كصرخة لا تريد مغادرة الشفاه
أوجعني حضورك.
أيها الإله الأسمر الجميل،
يا سيد العيون الزائغة،
والشفاه المكتنزة،
المعشوشبة بنخيل متصحّر وبقايا عسل وقهوة وتعب متراخٍ
أيها الساكن في العلا
وتحت جلدي
وفي الأبعاد بيني وبين خيالي
يا مناتي الثالثة الأخرى

❖

عبثاً أهرب منك، فيك، إليك:

ألملم شوقاً مطعوناً في ابتسامته
عبثاً!!!
قبل الرحيل
أعيد ترتيب حقائبي
ودموعي،
وبقايا مناديلك الورقية البيضاء.
أفتح ألبوم الصور العتيقة
والدفاتر المحنطة بالوجع
والقواميس التي – طالما –
سحرتنا بأحرفها،
وتمطي معانيها
علني أكشط ظلالك المتشظية
عن كل ترهلات
أيامي

❖

في زنزانتي المفرغة من الهواء
وأسلاك الهواتف
وصيوت رائحتك المكتسح
أحلق.
أفتح خلاياي وحقائبي
وذاكرتي
يتلعثم أصبعي الغبي
يصطدم بقطعة من صورة لك
مكفهرة
ينساب الدمع والدم

يتبعثر في انعدام الوزن
والوثنية
والصوت
تعبت رائحتك في فمي
أتهاوى صارخا
يا مناتي الثالثة الأخرى؟!
من كان منكم بلا وثن
فليرمني بإله

كلما ازدادت الفكرة هشاشة
كلما ازداد »إرهاب« أصحابها في الدفاع عنها

ما هو الإسلام؟

سؤال قد لا تكون الإجابة عليه سهلة!

ما هو الإسلام؟

فخلال خمسة عشر قرناً من الانتشار »الأفقي«. طوّر الإسلام منظومات معرفية وبنىً أيديولوجية ومعانٍ متعلقة بالهوية - تختلف بالكامل عن ذلك المحتوى البسيط، شُبه البدائي، الذي كان للإسلام الأوّلي. - مع ذلك، فما يزال المسلمون يلحّون عموماً، بإصرار ملفت في سذاجته، على أنهم »بنيان« واحد متكامل - مرصوص، بهوية واحدة، وحقيقة واحدة: الإسلام! وذلك يعاكس بالكامل كل الوقائع التي نتلمسها في أية بقعة من ذلك العالم المترامي الأطراف، الممتد من جاكرتا إلى كازابلانكا - والذي يختلف تماما عن غيتو »*طيبة*« الصغير، الذي انطلقت منه تلك الفكرة، التي يستحيل اليوم أن نلمس حوافها الأصلية الفعلية.

وأخيراً... صار الغيتو إمبراطورية:

كانت ابنة عاقة، ناكرة للجميل: فما أن أنجبت اليهودية ابنتها الأولى، المسيحية، حتى راحت تلك الأخيرة بدوافع الكراهية المتأصلة بين الأم والابنة منذ اللحظة الأولى تعلن عقوقها على الملأ - ثم تجسّد ذلك العقوق عينيا عبر *زواج* الابنة من الفكر اليوناني، على يد الكاهن المتهلين، بولس الطرسوسي. لم تعد نصرانية متهودة: صارت مسيحية متهلينة. وفي أنطاكية، إحدى حواضر

التهلين في ذلك الزمان، وتحت رعاية الطرسوسي ذاته، «دعي *التلاميذ للمرة الأولى مسيحيين*»!

وفعل الفكر اليوناني بالمسيحية فعلته:

١ - فقد جردها من لغتها الأم، الآرامية - العبرية، وصفّاها من أي تعصّب لغوي، لأنه فكر كوزموبوليتاني: ليس لدينا اليوم حرف واحد في العهد الجديد، كتاب المسيحية المقدّس، إلا باللغة اليونانية - كأصل لكلّ الترجمات المتداولة الآن. وما يُحكى عن نصّ أصلي بلغة غير يونانية *لمتى* أو غيره، يظلّ - ما دام غير مؤيّد بالدليل العلمي - مجرّد كلام وتكهّنات.

٢ - قضى الفكر اليوناني في المسيحية على مقولة الحامل القومي للمحمول الديني اليهودية الأصل والمنشأ. ففي عالم الهلينية المترامي الأطراف، المتعدد الجنسيات (- وأحيانا اللغات)، كان لابد للمسيحية أن تتخلى عن قوقعتها القومية الحاخامية الحادّة، إذا ما أرادت الانتشار وتخطي كل الحدود. وهكذا، فمنذ البداية الأولى، لم تكن المسيحية قومية: كانت إيمانا بشخص يسوع المسيح كمخلص للذات المؤمنة به - بغض النظر عن جنسية هذه الذات أو لغتها أو لونها أو جنسها.

٣ - ضمن صيرورة التهلين تلك، تخلّت المسيحية أيضاً عن الشكل اليهودي للألوهة - «*يهوه*»، الإله الذي لم يسمح لإله غيره بأن يوجد، ولم يسمح أتباعه *بالتالي* لأتباع إله غيره بأن يوجدوا، هو *بالتالي* أقسى شكل للألوهة وأكثرها إرهابية وتشرّبا للبدائية والبداوة والصحراوية. وإذا ما أخذنا الحضارية كمعيار لتصنيف مقولات الآلهة مراتبيا، فسوف يحتل يهوه الدرك الأسفل، كإله واحد أوحد، والذي لا تسمح وحدانيته المطلقة الدكتاتورية بأي شكل

للتعددية الديمقراطية - والتعددية دعامة الحضارية الأولى. ولا يمكن إطلاقا مقارنة يهوه هذا بالتعددية الحضارية الديمقراطية لآلهة اليونان أو سوريا القديمة.

»التعددية = ديمقراطية = حضارة؛ الوحدانية = قمع = بداوة«. الإله الأوحد اليهودي وكراهية »الغير« اليهودية وجهان لعملة واحدة - الإرهاب!

مقابل ذلك، فقد اهتدت المسيحية، في بحثها الدؤوب عن شكل للألوهة أكثرمناسبة للكوزموبوليتانية الهلينية ولخروجها الحضاري من الغيتو الحاخامي، إلى تركيبة جمع فيها بين التعددية الإلهية اليونانية الحضارية، والوحدانية الإلهية اليهودية الاستبدادية (-والبدوية-)، فكان أن ظهر للوجود ذلك »الإله الواحد في ثلاثة أقانيم« - لكن الكفة مالت *غالبا* لصالح التهلين، خاصة مع تبني المسيحية لعلم المصطلحات اليوناني الفلسفي لاستخداماتها العبادية: »أليس يسوع، أساس المسيحية وهيكل كنيستها، وهو *اللوغوس* اليوناني[١]؟«.

الابن الوفي:

لقد خرج الإسلام من رحم اليهودية - التلمودية - الحاخامية! فرغم كل ما قيل أو يقال حول العلاقة بين الإسلام والنصرانية[٢] - وليس المسيحية - فالإسلام، في نهاية الأمر، لم يخرج إلا من

---

(١) من أجل تفاصيل إضافية حول هذا الموضوع راجع كتابات اللاهوتي الألماني، بولتمان.

(٢) صدرت في بيروت ثلاثة أعمال تبدو وكأنها نسخ عن بعضها - وكلها في النهاية منسوخة عن عمل شويبس، المسيحيون اليهود: *القرآن دعوة نصرانية، قس ونبي، والإسلام بدعة نصرانية*. الأخطاء المشتركة في الأعمال الثلاثة هي:
أ: اعتمادها على الحدس أو التخمين في كون النبي نصرانيا أو أبيونيا، ب: ابتلاع الحسّ العاطفي فيها لكلّ بذرة عقلانية؛ ج: اعتبارها أن النصارى لم يكونوا يؤمنون بألوهة المسيح.

الرحم الآنف الذكر. لقد أشار غنزبرغ في عمله الشهير *أساطير اليهود* إلى أن القرآن يعرف الهاغاداه أكثر مما يعرف التوراة - إنه ينظر إلى التوراة في الواقع في ضوء الهاغاداه[٣]. من الجانب الألماني، يطالعنا عمل أ. غايغر الطليعي، *ماذا أخذ محمّد من اليهودية* *Was hat Mohammeds aus dem Judenthume aufgenomen?* الذي قد يعتبر الأول من نوعه في حقل العلاقة الجوهرية بين الإسلام الأرثوكسي واليهودية التلمودية الحاخامية. مع ذلك، ففي اعتقادنا أن هـ. شباير هو أفضل من كتب، بتفاصيل وافية، في ذلك الحقل حتى الآن: *الحكايا الكتابية في القرآن* *Die biblischen Erzählungen im Quran*، هو عمل شباير المحوري.

فعلى سبيل المثال، في القرآن مئتا موضع تتطابق بالكامل مع مواضع هاغادية مقابلة من التلمود البابلي؛ عشرون موضعا من الأورشليمي؛ وسبعة عشر موضعا من المشنا. أما من الجانب الهالاخي - التشريعي، فالتطابق يبدو مذهلا أحيانا: لاشك أن شاخت، في عمليه الهامين، *مدخل إلى الشرع الإسلامي*، و*أصول الفقه المحمدي*، قد أوضح ذلك بالتفصيل[٤].

بعكس المسيحية، فقد كان الإسلام، في بداياته *التكوينية*، بعيدا عن الهلينية، جغرافيا وغير جغرافي. وبعكس المسيحية أيضا، لم

---

(٣) أنظر هنا، على سبيل المثال، العمل الشهير باللغة الفرنسية، للباحث د. سدرسكي: *أصول الحكايا الإسلامية في القرآن وفي قصص الأنبياء*، باريس ١٩٢٣. *Les Origines de lêgendes muslmanes dans le Coran et dans le Vie des Prophètes*

(٤) لا حاجة بنا طبعا لذكر أن كتب التفسير والصحاح الإسلامية مليئة إلى حد مدهش بالروايات الهاغادية والتي ما نزال منذ زمن لا بأس به نتقصى آثارها بهدف جمعها في عمل موسوعي شامل.

يكن بولسَ رسولَ، الشخصية القيادية في الإسلام التكويني، بل عبد الله بن سلام ووهب بن منبه - وكعب الأحبار. لقد تكون الجنين الإسلامي في رحم اليهودية - التلمودية - الحاخامية؛ وحين خرج من الغيتو الضيّق إلى عالم الأغيار الواسع، حمل معه تحت جلده غيتو خاصاً به. — فرغم الانتشار الأفقي الشاسع للإسلام الأرثوذكسي؛ رغم الإمبراطوريات الإسلامية التي لم يمكن «لغيمة إلا أن تهطل فيها»؛ رغم مئات السنين من الابتعاد الزماني عن الهيولى القديمة: ظلت الإمبراطورية إمبراطورية - غيتو : غيتو روح؛ غيتو نَفس؛ غيتو مبادئ؛ وغيتو عقائد. - مع ذلك، تظل نقاط خلاف بين غيتو الرحم وغيتو الوليد ترمي بظلالها غير الضعيفة في لاوعي الطرفين:

✵ بعكس اليهودية، أخذ الإسلام الطابع التبشيري والذي كان بحاجة ماسة له آنذاك (-والآن؟! -) من أجل تضخيم مضطرد لبنيان القوة فيه. وهكذا، كان لابدّ له أن يمتد إلى شعوب وإثنيات ولغات متباينة - لكن الإسلام، بعكس المسيحية هنا، بدل أن يكسر جدران الغيتو الأصلي لإنشاء حضارة عالمية ذات حقيقة إسلامية، أجبر الحضارات على حمل هويته الخاصة وأدخلها بالتالي في «غيتووه» طارحا أمامها خيارات ثلاثة: إمّا أن تتمثّل قيم الغيتو وعالمه؛ أو أن تعيش داخل جدران ذلك الغيتو معزولة ومقهورة وقابعة في غيتوهات أصغر تضيق باستمرار؛ أو أن تقاتل حتى الفناء. - باختصار: عوض أن يكسر الإسلام جدران الغيتو كي ينطلق حرا، خاليا من أثر الرحم الأصلية، وسّع جدران الغيتو حتى طوّقت العالم كله تقريبا. «لكنه ظلّ غيتو يهودي الرائحة والطعم والنكهة».

مقابل *يهوه*، الإله الواحد الأحد الذي لا يسمح لغيره - ولا يسمح أتباعه لأتباع غيره - بالوجود؛ كان *الله* الواحد الصمد غيوراً واستبداديا في مملكته (أوّل ما فعله محمد حين دخل مكة كان إزالة الآلهة الأخرى *المنافسة* من الوجود - وإزالة أتباعها أيضاً من خارطة عالمه: إما بقتلهم أو بإجبارهم على الهروب أو بتركهم يعتنقون ديانة إلهه حتى لو كانوا ضمنيا غير مقتنعين بذلك وحتى لو كان هو ذاته يعرف أنهم منافقون - من دخل دار أبي سفيان فهو آمن!).

❋ لأن الإسلام خرج أساساً من رحم يهودي، فهو لم يستطع *بالتالي* أن يُنكر الشكل اليهودي للإله - والنصراني أيضاً. وهكذا كان *الله* أقل استبدادية من يهوه حيث سمح لليهود والنصارى بالتواجد - كمواطنين بلا درجة - في ظل «ذمته»: دون أن يخلو الأمر، من حين لآخر، من غزوة هنا وإغراء هناك لأتباع هاتين الديانتين كي يهجروا معتقداتهم ويدخلوا في دين الله.

❋ لقد ساعد انتشار الإسلام إلى حضارات وثقافات متباينة في إضعاف تماسكه والإقلال من قساوة قشرته - بعكس اليهودية. وهذا ما أدّى بدوره إلى بروز حركات ثقافية وفكرية بلبوس إسلامي منذ بدايات الإسلام الأولى - وحتى الآن.

ما هو الإسلام؟

هل اتفق المسلمون يوماً على كل تفاصيل التراث الإسلامي بكل تناقضاته؟ هل توجد بين أيدينا مواد وثائقية يمكن أن تساعدنا في تكوين صورة مقبولة عن بدايات الإسلام التأسيسية؟ هل كان القرآن، مرجع المسلمين الأساسي، موجودا زمن النبي، بحالته التي نعرفها الآن؟ وماذا نقول عن تلك الأحاديث في «الصحاح» والتي

تتحدث عن شيء من عدم الأمانة في تناقلية النص المقدّس؟ وماذا أيضا بشأن الحجّاج، الشخصية الأسوأ سمعة في تاريخ الإسلام، والذي يحكى عن دور له في إحدى عمليات تدوين النص القرآني - وكذلك عن بعض تلاعب له في النص، والأمر ليس بمستبعد بالنسبة لشخص على شاكلته؟ وإذا كان هنالك من يقول إن لديه موادا تاريخية تثبت وجود مواد مكتوبة من هذا النص أو ذاك ترجع إلى البدايات الأولى، فما هو دليله على أن مواده التاريخية موثقة وقابلة لأن تعتمد؟

مثال بسيط:

لقد عرف عثمان بن عفان في التاريخ الإسلامي بلقب «ذي النورين» - على أساس أنه تزوّج اثنتين من بنات النبي: رقية وأم كلثوم. لكن بين أيدينا الآن دراستان تسحبان بقوة هذا المجد المتداول شعبيا من تحت قدمي عثمان، وترميان بالتالي بظلال قوية من الشك حول *السيرة* النبوية ككل: الأولى كتيّب لمؤلف إمامي يحمل عنوان *بنات النبي أم ربائبه*، والثانية دراسة لكاتب أعتقد أنه إمامي منشورة في إحدى الدوريات المصرية الإثارية الواسعة الانتشار، وتحمل عنوات بنات الرسول: من هن؟[٥].

(٥) جعفر مرتضى العاملي، *بنات النبي أم ربائبه*، مركز الجواد للصف والطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠٠٣.

صالح الورداني في مجلة *روز اليوسف*، ع ٣٦٠٢، ١٩٩٧/٦/٢٣، صص ٦٢ - ٦٣.

جعفر مرتضى العاملي هو الأنموذج الأمثل للكاتب الإمامي، الذي يحلق في أجواء العقلانية حين يتعلق الأمر بصراع تاريخي شيعي - سني، ويغوص في أعماق الخرافة، حين يتعلق الأمر بالأساطير الشيعية حول *البيت* وآله: عندما يعالج مسألة أن زوجتي عثمان ليستا ابنتين للنبي، يحشد أدلة تاريخية دامغة وقرائن عقلانية لا لبس فيها؛ لكن حين يريد أن يؤكد أن فاطمة وحدها هي ابنة محمد وخديجة - وزوجة علي طبعا- نجده وقد

إن كل ما في الإسلام الأولي من تراث مكتوب ظلّ لفترة طويلة بحالة شفوية: ولا نعتقد أن شيئاً دون قبل الحقبة الأموية. والأمويون الذين لم يكونوا مسلمين عموماً، بل حكام باسم الإسلام، لا يوجد ما يمنعهم عن استخدام وسيلة الحكم هذه لغاياتهم الخاصة، حتى لو تناقض ذلك مع جوهر الإسلام المحمدي ذاته. فهل هذا الإسلام الذي يتداول حالياً في الأسواق والمكتبات والمساجد والتكايا، وعلى جبهات القتال في السودان والصومال وأفغانستان ومصر والجزائر.. هو ذاته تحديداً إسلام محمد؟ ببساطة: لا نعتقد ذلك.منطقياً، فإن عليّ بن أبي طالب كان الإنسان الأقرب إلى شخص المؤسس؛ لذلك لا بد أن يكون الشكل العَلوي - رغم مبالغات الشيعة وأساطيرهم التي أساءت كثيراً لهذا الشكل - للإسلام المحمدي هو النسخة الأقرب للأصل. لكن هذه النسخة أبعد ما تكون - أخلاقياً، فكرياً، وإلى حد ما دينياً - عن النسخة الأموية للشكل العمري للإسلام المحمدي: وهي النسخة المتداولة بشدة هذه الأيام.

المذاهب:

المذاهب في الإسلام، والتي يمكن تلمس أشكالها الجنينية حتى في الأيام الأولى، مسألة ليست غير مثيرة للتساؤل. فإذا كانت المسيحية قد انقسمت منذ البداية إلى أقلية انقرضت (النصارى) وأغلبية سادت العالم يوماً (المسيحية) بسبب ظهور بولس وسحبه إياها من الغيتو الحاخامي الضيق نحو عالم الأممين الواسع، فإنه لم يكن في الإسلام سحب كهذا. مع ذلك، فالفوارق الأيديولوجية العقائدية بين المذاهب - التيارات الإسلامية، لا تقلّ حدّة عن

نقل الحمل بها إلى عالم اللامعقول حين جعل جبريل يأتي بتفاحة من الجنة تأكلها خديجة لتحمل بفاطمة.

التناقض النصراني المسيحي. هذا يعني وجود أكثر من منظور للإسلام، كما أشرنا، منذ البداية الأولى. ولقد لعب الزمان، كالعادة، لعبته في بلورة تلك التناقضات عبر تيارات تحصّنت شيئا فشيئا خلف عباءة المذهب التي يصعب اختراق خيوطها الماورائية. ولا بأس هنا من الإدلاء ببعض الآراء، كمراقبين خارجيين، بتلك المذاهب وبمنظوماتها المعرفية والفكرية، بأفكار غير ميثولوجية ولا عصبية:

١ - المذهب السنّي:

وهو المذهب الأكثر انتشاراً والأوهى أسساً بين كلّ مذاهب الإسلام، خاصة وأنه يتبنى الأشعرية اللاعقلانية اللاسببية كعقيدة، ويغلق بالتالي عمليا ونظريا، باب الاجتهاد - بمعنى أنه يرمي بالعقل في أقرب سلةٍ قمامة. هذا النوع من الإسلام هو الأسهل انتشارا لأنه تحديدا الأقل تطلبا للتفكير ولإعمال العقل - وهكذا فنحن نجد أنّ قواعده الأرسخ هي بين الطبقات غير المثقفة أو تلك التي تلقت تعليما مهنيا يعتمد *التلقي* أساسا ولا يحتاج إلى أدنى تفعيل لمقولات الفهم المثقفة (كالأطباء والمهندسين والصيادلة ومن على شاكلتهم).

وكما أشرنا، فالإسلام السنّي المتداول حالياً هو النسخة الأموية للشكل العمري للإسلام المحمدي - وقد حررها العباسيون، بعد دمغها بالختم الأشعري اللاعقلاني.

التيار الإسلامي السنّي - وهذا أمر يتضح بالكامل لكل من عايش التجربتين: الإسلامية السنية واليهودية الحاخامية - ممهور بالروح التلمودية. وأهم مراجعه تغصّ حتى الاختناق بالتراثيات الحاخامية. ورغم كل العدائية التي يظهرها شيوخ السنّة لليهود، إلا أنك تشعر بالمعاشرة وكأن حاخاما صغيرا يسكن داخل كل شيخ،

يبرمجه بأسلوب حاسوبي، ويتحكم في تصرفاته منذ ولادته وحتى مماته.وحده *عنصر الزمن*، هذا العنصر السيء السمعة، هو الذي يجعل الشيخ يشعر أنه نقيض الحاخام مع أنه *النتيجة الطبيعية له*.

وفي اعتقادنا، فالمشكلة تتجلى في دخول اليهود بكثرة في الإسلام زمن عمر بن الخطاب - عمر هذا شخصية نقية، لكنها، ككل بدوي، ساذجة ومعادية للثقافة والمعرفة، *وبالتالي* الحضارة. لقد اخترق اليهود رأس الدولة - الخليفة ذاته. فأوصلوه إلى أن يعيد تنظيف الهيكل ويلغي الحظر الذي فرضه هادريانس على سكنهم القدس، فاستحق بذلك أن يسمّيه هؤلاء اليهود أنفسهم، في *مدراش* يرجع على الأرجح إلى الحقبة الأموية، صديق (أو حبيب) إسرائيل؛ بل بالغ بعضهم فاعتبره المشيح (المسيح اليهودي المنتظر)؛ وأطلق عليه بعضهم الآخر لقب *مخلّص — فاروق*.

لقد عاش التيار السني حالة سكونية معرفية متحجرة اعتمدت على تناغم مدروس بين المشايخ والخلفاء: تناغم يضمن فيه المشايخ للخلفاء أعلى حالات السكونية الاجتماعية — العقلية-المعرفية، وبالتالي — الاستقرار السياسي. مع ذلك، فهذا التناغم عرف في العصر الحديث — وهو ما يهمنا هنا — هزتين عنيفتين: الأولى في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مع ظهور المفكرين المتأثرين بالغرب والذين نادوا بنوع من التحديث في الإسلام: لكن هذه الهزة انتهت (أو أنهيت) مع زوال الحقبة الليبرالية القصيرة وبداية ما سمّي بالإشتراكية القومية (وهي طبعًا ليست اشتراكية ولا قومية بل أصولية إسلامية محدثة)؛ والثانية بدأت في نهاية السبعينيات من هذا القرن (العشرين) مع انحسار المد القومي الإشتراكي (انحسار طبيعي لأنه كان مداً شاعريًا وليس عقائديا فكريا) وظهور بعض المفكرين النقديين،

خاصة في مصر وإلى حد ما في لبنان وسوريا. وما ردات الفعل المريعة التي تواجه بها الهزة الأخيرة من المدافعين عن متحف السكونية المعرفية (أو أصحابه) إلا الدليل الدامغ على عمق تأثير الهزّة واتساع نطاقها.

وفي اعتقادنا، فإنّ التيارات العقلانية ضمن التيار السني *تحديداً* هي التي ستوصل في نهاية الأمر إلى خلق إسلام جديد والذي قد يكون نقيا من الحاخامية الفكرية. فالمثقفون من أصول سنية لا يعيشون إطلاقا هواجس التشكيك بإسلاميتهم حين يقدّمون إطروحات جريئة بل حتى جذرية، خاصة وأن هؤلاء لا يمتلكون أحاسيس *التكفيرية* أو أن إسلاميتهم نفاقية - كتلك التي تعشعش في لاوعي أتباع المذاهب الأخرى من غير السنّة، والتي هي النتاج الطبيعي لصيرورة تكفير متواصلة منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا: هذا من ناحية. - ومن ناحية أخرى، فالمذهب السنّي، والذي يشبه في تناقضيته وهشاشيته اليهودية الأرثوذكسية، هو أسهل المذاهب كسرا: *وبالتالي* فهو الأكثر مساعدة لأفراده المثقفين على هجرانه إلى الأبد.

٢ - المذهب الإمامي:

التيار الشيعي الإمامي الإثنا عشري، وفق ما عرفناه وعايشناه، هو *الأخطر* على العقل وحق التفكير بين كل مذاهب الإسلام - باسم العقل وحق التفكير بالذات: بل قد يكون أخطر حتى من تلك الحركات السنية المتطرفة التي تحارب في غير مكان لإعلان حق وجودها - ففي حين أن التيار الإمامي مؤهل بإمكانياته الخاصة لأن يبقى وينتشر ويقتحم حتى معاقل السنّة، فإن تلك الحركات السنّية البائسة ستنتهي بالانقراض حتما - كما في مصر أو الجزائر أو أفغانستان - لأنها لا تمتلك مقومات الوجود الفعلية:

إنها ردّات فعل على الزمن الذي نسيها وعلى الحضارة الحديثة التي اتهمتها بالمتحفية - وردة الفعل تنتهي بانتهاء الفعل.

المذهب الإمامي قادر على البقاء والانتشار: فبسبب تاريخه المليء بالصراع لأجل البقاء، تعلم كيف يغيّر جلده «التقوي» باستمرار دون أن يغيّر دواخله بأية حال.

وبسبب مهاراتهم الذاتية الخاصة، فالإماميون هم أقدر المسلمين على تزييف الحقائق - وإضفاء لمعان يعمي الأبصار على مذهبهم. فباسم العقل - تلك الكلمة المغرقة في جاذبيتها لكلّ من يهوى التفكير - الذي يعتبره الإماميون أحد مصادر عقيدتهم، يصادر الإماميون العقل: إنهم يصادرون العقل لصالح وَهْم عقل - عقل مزيّف لأنه محدد بالمقولات الإمامية. ففي حين يصفق لك الإماميون ويهللون حين تستخدم إحدى مقولات العقل في مناقشة التاريخ الإسلامي وتتفق معهم - وهم سادة الجدل التاريخي في الإسلام بسبب تاريخهم الصراعي الطويل مع السنّة - ضد التيار الإسلامي السنّي، فإنهم على استعداد لتكفيرك أو قتلك - وقد قتل الإماميون كثيرا من المفكرين في لبنان وخارج لبنان، مثلهم مثل أتباع ابن تيمية عدوهم اللدود - حين تستخدم مقولات عقل أخرى في انتقاد جانب آخر يطال الإماميين الآن[٦].

وفي حين يشكو الإماميون دائماً - الشكوى والبكاء واللطم والنواح معالم إمامية أساسية تساعد كثيرا في نطاق اللاوعي على خلق نوع من التلاحم بين طبقات العوام الإماميين - من التكفير

---

(٦) إن الإمامي الذي هو على استعداد مفرط لأن يصفق لك ويهلل إذا ما استخدمت العقل في انتقاد الرموز السنية المقدّسة، هو *ذاته* مستعد لتكفيرك وقتلك إذا استخدمت العقل *ذاته* في التساؤل عن معقولية ميثة الإمام الغائب أو عن الحقائق التاريخية لأنبياء بني إسرائيل المذكورين في النصوص المقدسة أو... أو...!!!

الذي لاحقهم باستمرار، فهم *لم* يتوقفوا قط عن تكفير غيرهم، إن بأسلوب تَقوي حين لا يكونون قوة حاكمة، أو بأسلوب علني فاضح - مع قيام أوّل دولة إمامية في التاريخ الحديث.

يتحدّث الإماميون، بطريقتهم الجذابة *لأنصاف* المثقفين من المسلمين، عن فتح باب الاجتهاد - بمعنى حرّية العقل (- أو هكذا تتصوّر -) في الدخول إلى الدين من أوسع أبوابه. لكن هذا الطرح التَقوي سرعان ما ينكشف حين تدخل إلى قلب الإمامية: فباب الاجتهاد الإمامي ليس سوى *كوة* صغيرة في أعلى الحائط لا يمكن حتى لضوء الشمس أن يمرّ عبرها. والحقيقة تقول إن النصوص المقدّسة وشبه المقدسة تغطي كافة جوانب الحياة تقريبا - وهذه لا اجتهاد فيها. يبقى الاحتهاد ممكنا في تلك المساحات العبثية، كغسل الميت المسلم في منطقة انعدام الوزن في الفضاء؛ أو كصحة عقد نكاح امرأة استبدل رأسها برأس امرأة أخرى؛ أو كمضاجعة المرأة ذات البظر الطويل لزوجها المأبون: اجتهادات واردة *فعلا* في النصوص الشرعية لأحد ممثلي مسرح اللامعقول الإمامي من العراقيين المقيمين في دمشق.

العقل المشروط، أو: العقلانية الناقصة - هو سرّ قوة الإمامية، خاصة بين أوساط العامة أو أنصاف المثقفين. لذلك يخشاها السنّة - ونحن معهم - لأن نصف الحقيقة أسوأ كثيرا من الكذب.

٣ - المذهب الإسماعيلي:

مشكلة هذا المذهب الشيعي الأصل *نخبويته*: فبعكس السنّة، الإسماعيلية تيار يبدو أنه من الصعب أن يتجذّر بين طبقات العامّة - لأنه *فوق* تفكيرها. لذلك انقرض الإسماعيليون بسرعة في مصر، البلد الذي أنهكه ثقافيا دخول عمر بن العاص وهروب النخبة الثقافية اليونانية، بعد وصول التيار الشافعي السنّي الذي قاده

صلاح الدين الأيوبي. الإسماعيليون، الذين استوردتهم مصر من بلد الأعراف الثقافية الراسخة - سوريا - عبر تونس، والذين قدّموا لمصر حضارتها الثقافية الوحيدة حتى الآن (الناصرية كانت تيارا شعريا عاطفيا هجينا وليس حركة ثقافية راسخة بدليل زوالها آليا بعد زوال المؤسس) بعد رحيل مدرسة الإسكندرية، لم يستطيعوا أن يتجذّروا بين طبقات مصر الشعبية: بسبب التركيبة الفكرية الخاصة بالفرد المصري ولأن الإسماعيلية، كفكر نخبوي عظيم، لم تسعَ كما يبدو إلى فرض مقولاتها على العوام.

ملاحظة:

لابد أن نذكر هنا أن الإسماعيلية، اليونانية القلب الإسلامية القشرة العربية اللسان، لم تضطهد المسلمين من غير الإسماعيليين عموما ولم تقسرهم على اتباع مذهبها! ونحن هنا لا نستطيع اعتماد التشويهات المقصودة التي لطخ بها مؤرخو السنة الخلفاء الفاطميين لأن الوقائع تتحدث بشكل معاكس. فقد كان باستطاعتنا أن نجد كل المذاهب الإسلامية ناشطة في ظل الحكم الفاطمي لمصر. بالمقابل، فقد انقرضت الإسماعيلية تماما في ظل الأيوبيين الشوافعة، الذين دمّروا حضارة مصر الثقافية، حين دمّروا التراث الفكري الإسماعيلي - وحولوا أغلفة كتب بيت *الحكمة* إلى أحذية لجواري الأكراد وجنودهم.

مع ذلك فالإسماعيلية لم تنته في وطنها الأم، سوريا: ربما لأن هذا الوطن، بسبب بنيانه الأنطولوجي - الأيديولوجي، قادر على امتصاص الفكر النخبوي وسرمدته مهما استفحلت مذاهب العوام.

... ورغم الانقراض المريع حضاريا، فقد استفادت الإسماعيلية من تجربة الحكم الفاطمي في مصر - إفادة لم تعرفها غيرها من الطوائف التي أينعت على هامش الإسلام السني: فمع الشعور

الغامر بالحريّة والانفلات من قيود سلاسل الاضطهاد والتكفير السنية - التكفير هو السلاح *الأقوى* الذي يحتفظ به شيوخ السنّة لحمايةٍ عوامّهم من التيارات الإسلامية المتماسكة بنيويا والقوية عقائديا - لم يعد الإسماعيليون يخشون نشر أفكارهم ومعتقداتهم وتداولها أمام العامّة والخاصّة. ورغم الدمار الهائل الذي ألحقه الأيوبيون بالتراث الإسماعيلي العظيم، فالقليل الذي بقي يشير دون لبس إلى أن الإسماعيلية كانت صوت العقل الفعلي - وليس عقل الزيف - في عالم قتْل العقل ومصادرته.

الإسماعيليون، كما عرفناهم الآن، هم علمانيو الإسلام. ورغم ضآلتهم العددية - غير موجودين بفعالية خارج سوريا واليمن - فهم مؤهلون بالكامل، خاصة في سوريا، إذا سنحت الظروف، لتقديمٍ نسخة عن الإسلام هي *الأكثر* قدرة على الدوامية - والأكثر انفتاحا على مقولات العقل.

٤ - المذهب العلوي:

للأسف الشديد، فالمذهب العلوي لم يعرف قط تجربة الحكم التي عرفها الإسماعيليون في مصر الفاطمية - وخارجها. وهكذا، فهو لم يستطع قط أن يخرج من قوقعة الخوف التي أحاط بها نفسه في مواجهة سيف التكفير السنّي ذي السمعة الرديئة. ونحن لم نستطع التعرّف بالتالي على كل مكنوناته الحضارية - ولم نخرج إذا من دوامة الحدس والتخمينات!

بعكس كل الطوائف تقريباً التي عاشت على هامش التيار السنّي، لم يحظ العلويون بلحظة راحة قط، وظلوا بالتالي مطوقين في حصونهم الجبلية بسياج الإضطهاد السني الذي لم يترك يوما الفرصة تفوته لقتل هؤلاء والتنكيل بهم، حتى كادت خرافية غيبتهم

الكبرى عن الحضارة أن تقضي علىالجواهر الثقافية التي كانت أساس هذا المذهب.

العلويون - أو النصيريون كما كانوا يسمّون (نلاحظ هنا، أن بويريا، عاصمة النصارى، كانت موجودة في جبال العلويين، ولا بأس بنوع من التفكير حول العلاقة بين نصيري ونصراني) - برأينا، هم ورثة التراكمية الحضارية السورية: يمكن أن ندّعي بشعور من المبالغة، أن العلوية هي الديانة *القومية* لسوريا - كيف؟

إذا كانت الإسماعيلية — الهلينية - المتأسلمة أعمق ثقافياً من العلوية، فالعلوية أعمق أصالة من الإسماعيلية: الزواج اليوناني - الإسلامي في الإسماعيلية جعل الأقوى (- الهلينية-) يستوعب الأضعف :الإسلام. لذلك كان الإسماعيليون نخبويين. لكن العنصر الهليني في العلوية، حتى وإن بدا ملحوظا عند أول محاولة تنقيب جدية، لم يستطع أن يطغى لأنه مواجه هنا بعناصر ثقافية قوية، مشكلة من تراكمية صلدة للطبقات الحضارية السورية.

وإذا كانت السنّية ديانة البدو المتحوخمين الصحراوية - بكل جفاء الصحراء وعقم الحاخامية الفكري، فالعلوية ديانة الحضر الزراعية: يكفي كدليل على ذلك هذا الكم الكبير من الطقوس الزراعية، غير البدوية، في المذهب العلوي. وإذا سمحت الظروف الموضوعية وكشفت لناالعلوية عن كنوزها - وهذا واجب حضاري: فالحضارة يجب أن لا تبقى حكرا على قلة نادرة - فسوف نتأكد ربما أن هذا التيار خزّان يخبئ بين طياته طبقات الحضارة السورية المتراكمة، والذي لم تنجح القشرة الإسلامية في إفساد محتواه.

لكن مشكلة العلويين هي السنّة!

العلويون، برأينا، لم يتخلصوا قط من هاجس التكفير السنّي - وهذا يجعلهم يؤكدون باستمرار على إسلاميتهم (شبه السنّية) وينافسون أكثر أهل السنة تزمتا في تزمتهم الديني، حتى وإن كانت القضية مصطنعة برمّتها.

يعرف العلويون في قرارة أنفسهم أن المسطرة السنّية غير صالحة لقياس الحق والباطل: مع ذلك فهم لا يملكون الثقة الكافية كي يقيسوا أنفسهم *علنا* بمساطرهم الخاصة الأكثر حضارية.

العلويون، للأسف، يبحثون الآن عن حقيقة وهوية على أحد رفوف السوبرماركت الإمامي في السوق الإسلامية العجفاء - لكنهم لا يعرفون أن هذه السوق، بكل بضاعتها، ليست أكثر من رف صغير في متحفهم الحضاري الغني.

٤ - المذهب الدرزي:

حين شاخ المذهب الإسماعيلي - الفاطمي، حين تعبت حضارته، حين وصل العقل السبعي إلى قمة نضجه، أينعت «*دار الحكمة*» المذهب - التيار الفكري الدرزي. ولما كانت مصر - وربما ما زالت!- غير مؤهلة لحركات أيديولوجية من هذا النوع، انتقل مؤسسو الحركة الدرزية إلى أرض الأفكار الخصبة - بلاد الشام.

إن من يدرس التراث الدرزي، *كرسائل الحكمة* على سبيل المثال، يكتشف بسهولة عمق هذا التراث وكثرة الروافد الفكرية فيه[٧]. إن «*رسائل الحكمة*»، دون مبالغة، هي دائرة معارف حوت أشياء كثيرة من علوم عصرها وثقافته، بدءا بالفلسفة اليونانية

---

(٧) أنظر مثلاً: أنور ياسين، *مصادر العقيدة الدرزية*.

وانتهاء بالإسلام الأرثوذكسي، مرورا بمقولات من الفرس والهنود وغيرهم.

لكن الحقيقة هي أن الدروز، بسبب مواقف الآخرين السلبية - السنّة تحديدا - منهم أوّلا، وتركيبتهم العقلية الغيتوهية المشوهة ثانيا، أغلقوا أنفسهم على ما ورثوه من تراث حتى تجاوزهم الزمان ولنظهم في تجمعات إنعزالية ذات رائحة متحفية عموما. وكما ينسد كل شيء طبيعي إذا حجب عن الهواء وأشعة الشمس، فقد فسد الدروز عموما: فقدوا حقيقتهم فراحوا يبحثون عنها في الهند، وفقدوا هويتهم فراحوا يبحثون عنها في جيش الدفاع الإسرائيلي.

الدروز، بعكس العلويين المنغرسين في أعماق الهوية السورية، يمتلكون موسوعات شبه غريبة عفا عليها الزمان وغيتوهات شبه مغلقة تفوح منها رائحة الفساد وحقائق شبه مائعة ينقصها الإحساس بالهوية. *لذلك*، فهم «أقل» من يؤمل منهم أن يشاركوا يوما في نهضة حضارية إسلامية.

العدائية للإسلام

هل حقا أن هناك مؤامرة عالمية تحاك خيوطها هنا وهناك ضد الإسلام والمسلمين؟!

هل حقا أن الغرب الإمبريالي الاستعماري الرجعي - إلى آخر قائمة المصطلحات الشيوعية التحنيطية - يريد إسقاط الإسلام بعد أن أسقط الشيوعية؟!

فرق أساسي: الشيوعية ديانة أرضية؛ والإسلام يعزو علته الأولى إلى كائن غير أرضي هو الله.

قد يكون هنالك بالفعل وجود لمؤامرة من هذا النوع. لكن إذا كان الأمر كذلك، فالمتآمرون *الحقيقيون* هم الإسلاميون أنفسهم، خاصة أولئك الذي *يحاربون* أي ميل لتجديث الفكر الإسلامي تحت رايات متباينة، يبدو بعضها الآن مهترئا بالكامل.

بالمقابل، ثمة أصوات أخرى تعلو باضطراد بين المسلمين تعتبر أن ما يتداول حاليا من تجارب إسلامية حالية لا يعبّر إطلاقا عن «جوهر الإسلام الحقيقي» الذي يمكن أن نجده في القرآن وفي الحديث النبوي المثبت. وهنا لابد من تقديم بعض الملاحظات:

١ - نحن لا نعيش في بطون الكتب بل في قلب مجتمع بشري متحرك تحكمه هذه القوى السكونية. ونحن لا نستطيع أن نقول مثلا لحزب توده الشيوعي الإيراني، الذي شارك في تصفية نظام الشاه ثم تعرّض هو ذاته لتصفية أعنف على أيدي الخمينية: «إن الخمينية لا تعبّر عن جوهر الإسلام الإمامي». والشخص البشري، أيا كان، أهم بما لا يقارن من أية فكرة موضوعية، أيا كانت.

٢ - يقال باستمرار الآن، في محاولة لخلق أوهام تبريرات، «يوجد مسلمون ولا يوجد إسلام». لكن أهمية الفكرة هي في إمكانية تجسيدها عمليا على أرض الواقع: وليس في بقائها محلقة في أجواء المخيلة. والفكرة الرائعة إلى درجة عدم قابليتها للتطبيق هي فكرة ميتة أساسا: ولنا في الماركسية خير مثال.

٣ - إن هؤلاء الذي يقتلون في أفغانستان والجزائر ومصر والسودان باسم الإسلام، لديهم أيضا ترساناتهم اللاهوتية التي يبررون بها كل جريمة ترتكب - ولا عجب إذا وجدناهم يعتبرون أن الطرف الآخر هو البعيد عن «جوهر الإسلام الحقيقي». فالتراث الإسلامي هو أشبه ما يكون بمصباح علاء الدين الذي يستطيع أن يلبي احتياجات الجميع مهما تباينت.

إذاً، يجب أن نناقش الإسلام على أساس واقعه المعاش وليس نصوصه الموضوعة فوق الرفوف، والتي كثيراً ما تتضارب وتتناقض. وهكذا نشكل موقفا من الإسلام، إيجابا أو سلبا، وفق مواقف الإسلام الفعلية من مسألة الإنسان وحقوقه الأساسية - وليس ما يدعى بحقوق الإنسان الإسلامية التي هي مصادرة للحقوق باسم وهم الحقوق الإسلامي - والتي تشكل العنصر المكوّن للحضارة الحديثة.

* حقوق الإنسان الغيبية:

الدين، أولاً وأخيرا، مسألة اجتماعية - بيئوية - وراثية. « الصدفة -التربية» هي التي تجعل من موضوع جوهري هنا، كألوهية المسيح، مرفوضا بالكامل هنالك؛ ومن حدث يعتبر تاريخيا فعليا هنا، إسراء محمد ومعراجه، فانتازيا تخيلية «على الأقل» هناك. الدين، لأنه يحتل عقل الإنسان في وقت مبكر جدا - خاصة في الأقطار الإسلامية - وينغمس بالتالي في أعماق ذاته في وقت مبكر جدا، يرمي بشبكته حول عقل هذا الإنسان فيمنعه عن الرؤيا - والتفكير: ويمنعه بالتالي عن إدراك حقيقة أن « الصدفة - التربية» هي جرثومة الدين الأولى. باختصار: بدل أن يكون الإنسان مالكا للفكرة، تصبح الفكرة مالكة للإنسان.

كل دين في هذا العالم يعتبر أنه «الحقيقة المطلقة» - وإلا لاستقال من الخدمة فأراح واستراح: ولما كان أتباع كلّ دين يعتبرون أنّ دينهم الخاص هو *الحقيقة المطلقة*، ولما كان بازار «الإديان - الحقائق المطلقة» بلا بداية ولا نهاية، ولما كان جوهر كل تلك « الأديان - الحقائق المطلقة» حبّة خردل ميتافيزيكية غير ملموسة ولا مثبتة ماديا وغير قابلة بالتالي لأن تفرض «كحقيقة

مطلقة« - فالحل الأوحد، في اعتقادنا، لهذه المعضلة المتشابكة هو الاعتراف لكل دين بحقه في التواجد والدعوة التبشيرية بما لا يضير الأديان الأخرى ولا يشوهها. - فأين الإسلام من كلّ هذا؟

ما من داعٍ لفتح دفاتر الماضي الوسخ - لأنه ماضٍ - خاصة وأن الجميع تقريباً صادروا الإنسان تحت رايات القداسة، بدءا *بمحاكم التفتيش* وانتهاء *بأحكام أهل الذمة* - لمن يحرّف مسألة أهل الذمة عن حقيقتها، ويحاول إعطاءها طابعا إيجابيا وهميا عن طريق تلاعب استغبائي بالألفاظ: ننصحه هنا بقراءة *أحكام أهل الذمة* لابن قدامة المقدسي! لكن ما كان يُقبل في الماضي لا يمكن أن نقبل به الآن: حتى وإن جاءنا محفوظا في معلبات »الحقيقة المطلقة« الفاسدة تلك. لكن الإسلام لم يتغيّر!

لقد استسلمت الكنيسة تحت وطأة مطرقة العقل - والعلمانية. واليهودية الأرثوذكسية - رغم وهم الصحوة، صحوة الموت، الذي يسوقه ابن عوباديا يوسف بأسلوب بوطوي يدعو إلى الشفقة والغيظ في آن - تسير في درب الإنقراض القصير: تجرّها فيه عربة العلمانية الصهيونية، بشقيها اليميني واليساري، الخارقة لجدار الصوت بسرعتها. ورغم محاولات *المفداليين* وضع حواجز تلفيقية في وجه تلك العربة، إلا أن ريح الزمن تلعب، لحسن الحظ، ضدهم. والحقائق التاريخية لليهودية الدينية صارت محط نقد حتى في الدوائر اليهودية ذاتها.

مَنْ الإسلام؟!!

وحده الإسلام الذي لم يسمح للحداثة أو العلمانية بالاقتراب منه أو تصويره، ما يزال يعتبر نفسه »الحقيقة المطلقة« - والتي لا تسمح بالتالي لأية حقيقة أخرى، باعتبارها مزيفة، بأن تنافسها على أرضها. بل يزداد الأمر سوءا بتقدّم الزمن لشعور الإسلاميين

بزيف الكثير من حقائقهم وبالتالي *خوفهم* من اقتراب أية حقائق أخرى يمكن أن تحطم الصدفة وتكشف العفن الداخلي.

أنتَ تمتلك فكرا مغايرا: حكمك الإسلامي: إما أن تعيش خانعاً بأسلوب أهل الذمّة، أو أن تهرب، أو أن تقتل!

أنا، كمسلم، كصاحب «للحقيقة المطلقة»، لي كل الحق، أيها المغاير، أن أشتمك وأهينك وأخوّنك وأكفرك - عند أية مبادرة تهديدية لحقائقي المطلقة.

أنتَ، أيها المغاير، لا تمتلك أدنى حق في سؤالي، تاريخياً، عن حرب الجمل وصفين والنهروان، عن حادثة السقيفة وموقعة الحرة، عن تهديم الكعبة وسرقة الحجر الأسود - حتى لا ترمي بحجر شك على حقائقي المطلقة الزجاجية.

أنتَ، أيها المغاير، لا تمتلك أدنى حق في سؤالي أو حتى سؤال نفسك، عقائديا، عن الحقيقة التاريخية لآدم وحوائه اللذين هبطا (كذا) - بلا كيف ولا كم - علىالأرض، في تاريخ نسيا تسجيله، ومكان نسيا ذكره، رغم أنهما تذكرا تفاصيل أخرى تبدو مملة.

* حقوق الإنسان الجنسية:

«في حين ترسل الولايات المتحدة مركبة فضائية إلى المريخ وتكتشف «جينة الشيخوخة» في الإنسان، ينقسم مشايخ مصر وشعبها، بطريقة لا تثير غير مشاعر القرف، في مسألة حقوق المرأة الجنسية البديهية، عبر *انقسامهم* في ختان النساء: هل سنشهد حرب بظر جديدة، بعد حرب الجمل القديمة؟».

يندر أن تجد ديانة في هذا العالم - باستثناء اليهودية التلمودية الحاخامية - تصادر الحرّية الجسدية وتقمع الجنسانية الأنثوية، كالإسلام: خاصة بعدما تخلص الكاثوليك عمليا من عقدهم

الجنسية الإخصائية المزمنة. ففي هذا الزمن القاسي، حيث الصعوبات الاقتصادية - *«تكاثروا، فإني مفاخر بكم الأمم!»* - تؤخر سنّ الزواج، يقف الإسلام بالمرصاد نظريا لكلّ من تسوّل له نفسه حق ممارسة حياته «الطبيعية» خارج الإطار الذي وضعه الإسلام وفرضه على الجميع. والإطار الذي وضعه الإسلام، بالمناسبة، على اختلاف تسمياته -زواج، تسرّي، متعة الخ- هو في النهاية تشييء للمرأة لحساب جنسانية الرجل. وإلا فماذا نسمّي وضعية المرأة في التسرّي الذي زال *عمليا* من حياتنا الاجتماعية لكنه ما يزال يعشعش *نظريا* في نظرة المسلم للمرأة؟ *«والمرأة متاع، ضلع أعوج، شر كلها، و... لعبة في زاوية البيت إن كانت لها حاجة وإلا: فلا؟!»*.

لو تناولنا هنا مشكلة المثلية الجنسية Homsexuality - الأكثر انفتاحا على النقاش هذه الأيام، وأخذنا بعين الاعتبار أن نسبة المثليين الجنسيين أو أصحاب الميل الجنسي المزدوج bisexual في أي مجتمع بشري لا تقلّ عن ١٠٪، وعرفنا أن مراكز العلم العالمية المحترمة تبدو منقسمة بشأن المسألة بين رأي «الجينية كعلة» ورأي «التربية الاجتماعية - النفسية كعلة»، وأضفنا إلى كلّ ذلك الأزمات القاتلة أحيانا التي يعاني منها المثلي جنسيا: الرفض المزدوج لجنسانيته من مجتمع مليء بالمفاهيم الخاطئة الدينية جوهريا حول الجنس ومن ذاته التي هي إفراز طبيعي لذلك المجتمع، لاكتشفنا أن الحلّ الإسلامي التقليدي (- القتل بأسلوب وحشي -) لتلك المعضلة ليس أقل من كارثي. والحلّ صالح لكل زمان ومكان، لأن النص الذي يحمله صالح أيضا لكل زمان ومكان.

كل جنسانية يعتقد أنّها منفعلة مصادرة:علميا، لاتوجد جنسانية منفعلة-أنثوية كانت أم مثلية. (الغريب - وهذا جزء من التناقضية الإسلامية المدهشة - أن الإله الذي تدخّل بحسم في مسألة ثانوية

جداً حضارياً وإن كانت مركزية بدوياً: إفك عائشة، وقف حائراً بنوع من اللامبالاة أمام جريمة إنسانية وحضارية ارتكبتها المرأة ذاتها، راح ضحيتها ألوف المسلمين وما نزال ندفع ثمن آثارها اللاحقة حتى الآن: حرب الجمل).

»المشكلة هي أن المسلم، حتى وإن عاش في أكثر دول العالم تحضّراً، فهو يحتفظ تحت جلده بذلك الموقف البدوي من مسألة الجنس: بكارة المرأة شرفها، وشرفها شرف القبيلة، وشرف القبيلة شرف الأمة....«.ليس العقل هو أعز ما تملكه الفتاة الشرقية؟

والمشكلة الأكبر هي الرغبة بفرض تلك العقلية البدوية حتى في أعتى مراكز الحضارة: تحت رايات القداسة الوهمية ذاتها.

* حقوق الإنسان السياسية:

ماذا لو تأمّل واحدنا خارطة العالم وحاول تصنيف الدول وفق معيارين: الغالبية الدينية والديمقراطية السياسية - ماذا سيجد؟ باستثناء بعض دول إفريقيا وبقايا الركام الماركسي الذي سيسقط عاجلا أم آجلا (»الطرفان على حد سواء يعانيان من أحد أشكال الإعاقة نحو التقدّم: إعاقة فكرية جينية جوهريا عند الأول وإعاقة فكرية دوغماتية جوهريا عند الثاني« - مع فارق غير بسيط هو أن السود عوّضوا عن تخلفهم الفكري بتقدمهم الجسدي المذهل، في حين لم تقدّم الماركسية سوى الإفساد المحمي بشعارات ذات قداسة أرضية كاذبة«)، سيلحظ بوضوح تام ذلك التناسب الكامل بين الانتشار الإسلامي والانحسار الديمقراطي - والعكس صحيح.فباستثناء لبنان الذي يسعون الآن إلى تكبيله بقيود »حريرية«، لا توجد دولة إسلامية تتبنى الديمقراطية السياسية - بالمعنى *الفعلي* للمصطلح.

من جهة، فالأقطار التي تدعي الديمقراطية هي أقطار تصادر الديمقراطية الفعلية تحت اسم ديمقراطية مزيفة:في مصر: يموت حزب الغالبية العظمى الوحيد بموت مؤسسه، وينشأ حزب غالبية عظمى غير وحيد هذه المرة (إحدى ضرورات الديمقراطية الكاذبة)؛في الجزائر: يتشكل حزب غالبية عظمى عبر مرسوم «عسكري» في أربع وعشرين ساعة أو ما شابه؛ في تونس: الديمقراطية موجهة والدكتاتورية أفضل بما لا يقارن من تلك الديمقراطية الموجهة - يكفي الدكتاتورية فخرا أنها رذيلة خالية من حمض النفاق.

«ربما أن تلك المجتمعات غير مؤهلة حتى الآن، لأسباب معرفية، لأن تكون ديمقراطية: وفي ذلك لا تختلف الأقليات غير الإسلامية، في بعض الأقطار - لقد كشفت حرب لبنان مثلا، عن التخلف الحضاري الهائل للمسيحيين، القابع خلف ستارة التحديث القشوري - عن الغالبيات المسلمة في هوس السيطرة والمصادرة».

كان يمكن لبعض تلك الأقطار، خاصة تلك المغرقة في عمقها الحضري، أن تصل إلى شكل «ديمقراطي - حضاري» لو أنها تُركت لتأخذ منحاها الطبيعي في التطور. فبعد خروج الانتدابات الأوروبية من تلك الأقطار (نحن، للعلم، نميّز تماما بين الانتداب الفرنسي والاستعمار التركي)، بدأت ملامح حياة ديمقراطية بدئية تطل بوجهها على هذه الشعوب القابلة للتحضّر. لكن «حبيب الملايين» جاء-أو جيء به- بأمثولته القومية الاشتراكية القمعية لينهي التطور الطبيعي، وليغلق الأبواب والأنفس ثمان عشرة سنة أمام أي ارتقاء فكري حضاري حقيقي. ولأنه لم يسمح لغيره بأن يعلن وجوده، التجأ المجتمع، الذي فشل أن يعبّر عن نفسه فكريا في مراكز معلنة والذي لم يقبل الانحطاط إلى سوية الفساد

والانتهازية التي غرقت فيها المراكز الرسمية المعلنة الوحيدة، إلى مراكز أخرى غير معلنة سياسيا لكنها موجودة بحقها الخاص فكريا: *المساجد والكنائس*. وهكذا، فما أن رحل حبيب الملايين، حتى كان المجتمع مقسوما تحت سلطتين: سلطة حزب الدولة الفاسد الانتهازي *الشكلية*، وسلطة حزب رجال الدين، حزب الغالبية الساحقة »جدا«، القوي، الحاكم *فعليا*.

ولأن حبيب الملايين كان ريفيا، فقد كان حزبه ريفيا أيضا، بالمعنى السلبي للكلمة. وعوض عن أن يحضّر الريف، ريّف الحضَر.ولأن حبيب الملايين كان ريفيا، ولأن الريفية تعني الغناء البسيط - وليس السمفوني - والشعر البسيط - وليس الفلسفة - والإيمان البسيط - وليس اللاهوت العقائدي - والعاطفة المجردة - وليس العقل العملي أو النظري: فقد انتهى حزبه معه: لأنه حزب حالة عاطفية وليس حزبا أيديولوجيا.

وأمثولة حبيب الملايين لم تكن غير قابلة للتطبيق.

من جهة أخرى، فالأشكال الإسلامية للحكم، بحقائقها الكبرى المعادية للصيرورة، لا يمكن أن تكون غير معيقة للديمقراطية. الديمقراطية، كما عبّر عن ذلك الكثير من الإسلاميين، كفر. والكفر، بديهيا، معادٍ للإسلام. وحتى لو طرح بعض الإسلاميين الديمقراطية كحلّ، فالأمر لا يتعدى جانبين تكتيكيين: من ناحية، الديمقراطية: بالنسبة لبعضهم، كحكاية سفن طارق بن زياد حين دخل إسبانيا: لا بد من إحراقها ساعة الوصول إلى الحكم، حتى لا يفكر أحد باستخدامها ثانية؛ ومن ناحية أخرى، فالديمقراطية، لبعضهم الآخر، هي ديمقراطية إسلامية - وهذه أحد اسوأ أشكال الديكتاتورية.

لكن الإسلاميين في الغرب يؤيدون الديمقراطية؟ الإجابة بسيطة. الإسلاميون، بكافة أنواعهم، يعيشون في الغرب تحت رايات الديمقراطية حريات لم يحلموا بها قط حتى في أوطانهم.

إذا، الإسلاميون يرفضون، بنفاقية لا مثيل لها، الديمقراطية في بلادهم لأنها تضرهم، ويقبلون بالديمقراطية في الغرب لأنها تفيدهم.

لكن: لماذا يكره الإسلاميون الديمقراطية؟ لأنها ببساطة تكشف عوراتهم؛ هم والأنظمة المتحالفة معهم. فالإسلاميون والأنظمة المتحالفة معهم، مهما اختلفت مسمياتها، وجهان لعملة واحد: رفض كافة أشكال الحريات. الإسلاميون، الذين يملأون الدنيا ضجيجا هذه الأيام *بصحوتهم* - الضجيج أشهر أشكال التعبير عن الذات إسلاميا - لا يعرفون (ربما؟!) أن هذه الصحوة ليست أكثر من عارض لمرض حضاري مزمن اسمه غياب الحريّات وبالتالي الجهل. فلو تسلل الفعل النقدي إلى مقولات الإسلاميين المحنّطة، لما اختلف مصيرها عن مصير مثيلاتها في الأديان الأخرى، ولانتقل الإسلاميون من واجهة الأحداث إلى واجهات المتاحف. أما الأنظمة المتحالفة معهم والتي لا يهمها غير *أن تبقى* فيبدو أنها تفهم اللعبة جيدا، وتعرف أن الإسلاميين، حرّاس متاحف المفاهيم المحنّطة، هم أفضل من يحافظ على سكونية المجتمع في أدنى درجاتها، ويحفظ *بالتالي* للأنظمة أفضل الأجواء لحكم مستقر أبدي.

الإسلام الأرثوذكسي.. واليهودية

باستثناء قلة يهودية أرثوذكسية معزولة، يبدو الآن وكأن الإسلاميين هم المدافعون *الوحيدون* عن الأفكار والأعراف اليهودية الحاخامية، لأنها تسللت إليهم، بطريقة أو بأخرى، واستقرّت في

دواخلهم. ولعب الزمن، كالعادة، لعبته الإخفائية إلى درجة أن مسلما متطرفا يشتم اليوم بالفم الملآن اليهودية الحاخامية دون أن يعرف أنه نتيجتها الطبيعية.

ليس من السهل الحديث عن يهودية الإسلام الأرثوذكسي الحاخامية، لأن المسلمين دأبوا على مر العصور على اتهام كل من ينتقدهم بأحد أشكال التهود. وشكلوا بذلك في اللاوعي الجمعي للعامة نوعا من الهاجسية التهودية لأية مقاربة نقدية إسلامية: فكيف حين تهدف تلك المقاربة إلى قلب الصورة رأسا على عقب؟

التراث الإسلامي في جانبه الروائي الميثولوجي، منقول على نحو شبه حرفي، عن مقابله الهاغادي اليهودي، بدءا بحكاية عذاب القبر وانتهاء بقصص الخلق والطوفان وما شابه. والجانب التشريعي في الإسلام، لا يقلّ حرفية في نقله عن مقابله الهالاخي اليهودي من الجانب الروائي.

قد يُقال إن احتمالية النقل ليست وحيدة، وإن احتمالية أن يكون كلّ طرف وصل إلى مجموعة معارفه باستقلالية كاملة عن الطرف الآخر، أو أن يكون الطرفان استمدّا كل تلك المعارف من طرف ثالث - واردة تماما.

بالنسبة للاحتمالية الأولى: يمكن لإثنين أن يتوصلا باستقلالية تامة إلى المعلومة ذاتها _ إذا كانت تلك المعلومة حقيقة علمية أو فلسفية أو حسابية أو أخلاقية: جاذبية الأرض، كل إنسان فان، ١+١=٢، القتل فعلة إجرام - وذلك باستخدام طرائق معرفية متشابهة. لكن بأية طرائق معرفية يمكن لطرفين التوصل إلى معلومتين ميثولوجيتين متطابقتين حتى في أدق التفاصيل في زمانين ومكانين متباينين للغاية - مثل حكاية آدم وحواء وأولادهما أو قصة عذاب القبر؟

بالنسبة للاحتمالية الثانية: فقد أوصلت الكشوفات الأركيولوجية في سوريا الكبرى إلى نتيجة مؤكدة فحواها أن اليهود، وفق حدود معلوماتنا الحالية المحددة بدورها بما تم اكتشافه من آثار، أخذوا مقولات أساسية في تراثهم الديني عن الميثولوجيات السورية القديمة. وتتأكد ميثولوجية تلك المقولات اليهودية حين نقارنها أيضا بالكشوفات العلمية في حقول كالفلك، الأنثروبولوجيا واللغات.

مثلا: ما هو المقصود بالسماوات السبع إذا ما عرفنا أن لا وجود للسماء بمفهومها القديم، وأن الكون خواء تسبح فيه - *ولا تعلق* - أجرام متعددة؟

كم هو عمر الإنسان على الأرض؛ وكيف استطاع أن يحتفظ بتفاصيل إقامته في الجنة المفروضة؛ ولماذا احتفظ بها باللغة العبرية تحديدا؟

إذا كان لا سبيل إلى دحض الإرتقائية البشرية عبر مئات ألوف السنين، فكيف يمكن البرهان على هذا الإنوجاد التام للكائن البشري الأولي؟

العلماني، الإسلامي... واليهودية!

كيف يستطيع من يؤمن عقائديا أن بني إسرائيل *مفضلون* على العالمين أن يرفض اليهودية وجوديا؟

هل حقا أن الحديث عن الأصول الحاخامية للتراث الإسلامي عموما يصبّ في نهاية الأمر في صالح الإسرائيليين في صراع الوجود الحضاري العربي - الإسرائيلي؟

لكن: هل باستطاعة الإسلامي، الذي قد يكون أول المبادرين إلى التشكيك السابق، أن يناقش اليهودي بصحة مزاعمه، إذا كان هو ذاته يؤمن بتلك المزاعم عموما؟

إن نقطة القوة اليهودية بالنسبة للإسلام هي أن الإسلام يؤمن بكلّ المسلمات اليهودية تقريبا، في حين ترفض اليهودية جوهر الإسلام: نبوّة محمد. لذلك يستطيع اليهودي الصول والجول، قدحا وذمّا، في الإسلام، دون أن يستطيع ذلك المسلم.

بالمقابل، فالعلماني يستطيع أن يقول لليهودي الذي يزعم أن يهوه - أو ما شابه- أقطع أرض فلسطين لإبراهيم ونسله من بعده: ما هو دليلك *العلمي* على الوجود التاريخي لإبراهيم هذا؛وما هو دليلك *العلمي* على أنك من نسله؟

يستطيع العلماني أن يفكك التوراة نصياً بحسب نظرية التقاليد، وأن يبيّن على نحو دقيق لا تاريخية معظم حوادثها، وهي التي بنت عليها اليهودية هرمها الخرافي - السياسي - العقائدي برمّته - فهل يستطيع الإسلامي ذلك؟

يستطيع العلماني، باستخدام الميثولوجيا، أن يظهر دون لبس أن مقولات مركزية في اليهودية - كالخلق والطوفان - مسروقة على نحو مشوّه من الميثات السورية »الوثنية« (»وفق التصنيف التوراتي ذاته«) - فهل يستطيع الإسلامي ذلك؟

يستطيع العلماني، باستخدام علم الفلك الحديث، أن ينسف مقولات التوراة الفلكية الخرافية، وباستخدام الجيولوجيا الحديثة، أن ينسف مقولات التوراة الجيولوجية الخرافية - فهل يستطيع الإسلامي ذلك؟

يستطيع العلماني أن يوضح، باستخدام التوراة ذاتها، أن الشعب المختار كان أسوأ شعوب زمانه وأكثرها بدوية، وأن جعلهم »ليهواهم« يختارهم ليس أكثر من تعزية على الشعور البدوي بالدونية أمام الحضارات الكبرى المحيطة - فهل يستطيع من يؤمن *بأفضليتهم على العالمين* أن يفعل ذلك؟

إن حرب الوجود الحضارية بين العرب (سوريا تحديداً) واليهودِ هي الحرب بين العقل والخرافة - وما دام العقل العربي مأسورا لخرافات الحاخامين أنفسهم، لن يكون هنالك جواب على سؤال: متى ننتصر؟

صحوة أم صحوة «موت»!؟

في أوساط الإسلاميين، تستعمر العقول «فوبيا» من النوع الأخطر، لا تستثني قائدا ولا مقادا، تحمل عنوانا مبرقشا: الصحوة الاسلاميّة! ولأن هذا المصطلح متداول في تلك الأوساط أكثر من تداول القمع، لا حاجة بنا لتقديم مقاربات تفسيريّة له.- مع ذلك، فاعتقادنا الراسخ الذي لا سبيل إلى دحضه بحجّة دامغة (- يمكن دحضه بسهولة عبر سلاح المصادرة؛ الاسلاميّ الأشهر -) هو أنّ هذه الصحوة هي صحوة «موت»! فهذا المريض المبتلى بمجمل ضروب الآفات المزمنة المهلكة. والذي صحا فجأة (!!!) مع ضخّ نفط ودولارات وإرهاب في عروقه، لا يمكن للزمن إلا أن يقضي عليه: الصحوة الزائفة لا تستطيع الصمود في وجه أيّ اختبار صحّي حقيقي. لا شك أنّ الورثة يستنزفون طاقاتهم وأوقاتهم من أجل بثّ نفس الحياة في أنف مريضهم المحتضر عبر محاولة خلق جوّ عقيم - أي: المصادرة والإرهاب - حوله، إلا أنّ جراثيم الحريّة ستتسلل لا محالة إلى غرفة احتضاره، وسنشهد قريبا ربّما طقوسا جنائزيّة غير محزنة تضع هذا المريض أخيرا في مكانه الحقيقي!

لكن هل نرغب فعلا برؤية هذا المحتضر المزعج وقد غادر سرير احتضاره إلى تابوت من النوعيّة الأرخص؟ الأمر لا يعنينا! إنّه يعني الطبيعة؟ الطبيعة هي التي حكمت على هذا المحتضر بالموت عاجلا أم آجلا! وكنّا قد أثبتنا في عملنا الفلسفي غير

المنشور *، *الابستمولوجيا الارتقائيّة*، أنّ الإنسان الذي يغلق باب عقله بمفتاح زماني - مكاني معين،
لا سبيل إلى رميه أو استبداله، سوف ينقرض كما انقرضت حيوانات أخرى كثيرة قبله لم تفهم غزائريا منطق الصيرورة، وأنّ العقل غير قابل للسنجن في قالب معين، أيّا كان صانعه.
مشكلة المسلمين انحباسهم في زنزانات نصوصهم المقدّسة: فهم لا يستطيعون حملها والدخول بها إلى عالم الحضارة، ولا يستطيعون رميها خوفا على ذواتهم من التعرية التراثية. والحقيقة أننا لن نحزن كثيرا إذا إنقرضوا، لأنهم صاروا بالفعل، عبر هذا الإنسجان الذاتي، عبئا على الحضارة - دونهم يمكن للحضارة أن تصبح أكثر جمالا وتحرّرا وفراشية: من لا يصدّق ذلك، ما عليه إلا أن يفتح خارطة العالم ويتفحّص هوية

* هذا العمل، الذي أنجزته مع الفيلسوف الألماني الشهير، غيرهارد فولمر، لم أوافق على نشره لأسباب تتعلق بشرف الكلمة وحريّة الكتابة: فبعد الحملة الصليبيّة التي شنّتها أطراف إسلاميّة على كتابي *الجمل* في سوريّا، وبعد رفضي مهادنة أحد المتنفذين السابقين من أجل موضوعة النشر، والذي عرّفت عليه في مكتب الإعلام القطري، ساد على مايبدو عرف في الدوائر الرقابيّة السوريّة، يتضمّن منعي عن النشر بأيّة وسيلة - في حين تتناثر أعمال الوهابيين والأخوان المسلمين الذين قتلوا ذات زمن خيرة شباب الوطن في غير مكان: لديهم نفط ودولارات وعلاقات أميركيّة!- وهكذا وجدتني أضطر الى تقديم العديد من أعمالي للرقابة باسم غير اسمي، ثم أدخل اسمي بعد ذلك إلى جانب الاسم المزعوم كمشارك في التأليف! المشكلة أنني قدّمت العمل هذا باسم بائع مرطبات حمصي! ولما كنت قد كذبت على فولمر وأنا أقنعه بالعمل معي في سوريّا بأن الأخيرة موضع الظلّ والخضرة الوحيد في صحراء العرب القاحلة، فقد وجدت أنّه من الصعب علي أن أناقض نفسي إذا حكيت له عن كيفية أخذي للموافقة الرقابيّة السوريّة! وكان الحل هو الاعتذار عن نشر هذا العمل المغرق في أهميته!!

أماكن الاضطراب والإرهاب والحروب المعيقة لتقدّم البشرية وتحضّرها.

هل هي صحوة؟

١ - التاريخ:

. بثقة حاخامية مريعة، يجلس الإسلامي «الباحث »، في محطة نفطية أنتيكية، ليبث أساطير غبية على مسامع شعب يضع أقدامه في القرن الحادي والعشرين ورأسه في القرن السابع، تحمل عناوين براقة زائفة من نمط: «تاريخنا المجيد»، «حضارتنا العظيمة»، «خلفاؤنا الفاتحون»، «قادتنا الرحيمون» ، «شيوخنا الأجلاء» ، «أجدادنا الأتقياء»...! وحتى لا يتبرّع أحدهم للاصطياد في الماء «الأعكر»؛ نقول: نحن — كسوريين — نؤمن بأننا «كنّا» (- وكان فعل مضى حتى الموت -) نمتلك ماضياً حضارياً عظيماً، لكن الغزو العربي - الإسلامي «تحديداً»، حطّم ذلك كلّه حتى السحق بحيث يبدو من المستحيل بناء أي شكل جديد للحضارة.

مثال:

إذا قارنا، كسوريين، بين شكلي حكم عرفتهما سوريا، واحد قبل الإسلام، هو الإمبراطورية الزنوبية، وآخر بعده، هو الخلافة الأموية، لوصلنا إلى النتائج التالية:

كانت زنوبيا «حاكمة» وطنية - حضارية بالمعنى الكامل للكلمة: أشادت عاصمة أسطورية عجزت عن إزالتها كلّ عوامل البغي والتصحّر؛ كوّنت جيشاً كاد أن يسحق روما بعظمتها وسطوتها؛

حاربت أعداءها القوميين ببسالة لا تضاهى، واختارت الموت واقفة على الاستسلام؛ والأهم من هذا وذاك أن زنوبيا هذه كانت مفكرة قومية من طراز رفيع: فقد جاءت ببولس السميساطي، بطريرك أنطاكية آنذاك، إلى بلاطها، كي يخلق لها مسيحية سوريّة؛ واستدعت الفيلسوف لونجينوس الحمصي، كي يضع لها الأسس لفلسفة سوريّة. - وانتهى الاثنان بانتهاء الملكة الأعظم: فماذا خلف لنا بنو أمية؟.

كانت سوريّا، قبل الغزو العربي الإسلامي، أغنى دول العالم ربما بالحركية الفكرية. وكان أفضل تعبير عن تلك الحركية الدينية هو ذاك التنافس الفاعل بين المذاهب (التيارات الفكرية) الدينية. وإذا ما استشهدنا بالمسيحيين فقط لاكتشفنا ببساطة حقيقة أن غالبية تياراتهم المتنافسة آنذاك كانت سورية الأصل أو الأيديولوجيين. فالتيار المونوفيزيتي ترسّخ عمليا بفعل جهود راهب سوري اسمه يعقوب البرادعي؛ التيار المونوتيلتي أسّسه الموارنة السوريون؛ النسطورية جاءت من نسطوريوس السوري؛ آريوس كان تلميذ لوقيانوس الأنطاكي السوري الشهيد؛ ولا حاجة بنا لذكر التيار الخلقيدوني السوري، لأن مفكريه كانوا أكثر من أن يعدّوا: هل تكفي الإشارة إلى ثيودوروس القورشي؟ (- لا يمكن نسيان تيارات مسيحية منقرضة أسسها سوريون، ما تزال محفوظة في ذاكرة أسفار تاريخ العقائد المسيحية -)! هذا كله، كله، انتهى بضربة واحدة من الغزو العربي - الإسلامي، وأضحت الحضارة السورية محصورة في بضع أديرة وبلدات، معزولة، متعبة.

لقد حاربت زنوبيا من أجل استقلال الوطن عن روما: فما هي المعارك المفصلية التي خاض الأمويون غمارها؟ الحرّة التي قتل

فيها، في المدينة «المنوّرة»، خيرة الصحابة والتابعين، وتحوّلت بعدها عاصمة النبي من منبع للفقه إلى سوق نخاسة يصدّر القيان والسذّج إلى دمشق، عاصمة الأمويين! كربلاء التي قتل فيها أولاد عليّ بن أبي طالب، وسيقت نساء بني هاشم وحملت رؤوس رجالهم من العراق إلى دمشق حيث أمير مؤمني عصره! مكة التي قتل فيها عبد الله بن الزبير وصلب ميتا حتى كاد أن يبلى... الخ!

ماتت زنوبيا دفاعا عن وطنها كأرزة واقفة: فكيف مات أمراء المؤمنين، خلفاء بني أمية؟ باستثناء معاوية الداهية الذي أوصله حرصه وخوفه من ميتة كميتة علي بن أبي طالب إلى الموت على فراشه كما يموت البعير، فقد مات خلفاء بني أمية عموما بطريقة تذكرنا بموت أبطال روايات كافكا (غريغور سامسا بطل *الـ Vrewandlung* مثلا) أو مسرح اللامعقول! فإحدى روايات موت أمير المؤمنين يزيد بن معاوية تقول إنّه مات بعد أن عضّه قرد سكران في زلعومه، وكان القرد آنذاك سمير أمير المؤمنين في جلسات أنسه؛ معاوية بن يزيد سمّه أولاد عمه بعد أن تخلى عن الخلافة المغتصبة بإرادته؛ مروان ابن الحكم خنقته زوجته - أرملة يزيد - وجواريها بعد أن شتم ابنها من يزيد علنا، بقوله: يا ابن رطبة الإست(!!!!)؛ عمر بن عبد العزيز سمّه أولاد عمومته؛ هشام بن عبد الملك مات قرب إحدى القيان التي ماتت قبله، وكانا يسكران معا، فأخرج الجثّة من القبر بعد دفنها وظلّ بجانبها حتى فارق الحياة؛ الوليد بن يزيد قتله أخوته وأولاد عمومته؛ مروان بن محمد قتله العباسيون وقطعوا رأسه، فأكل منه سنور شيئا... الخ!!!

بقي أن نذكر أنّ أشهر ما ينسب للأمويين من الأوابد الحضارية في دمشق، الجامع الأموي، ليس من صنعهم. كان كنيسة مسيحية

(قبل ذلك كانٍ معبداً وثنياً) تحمل اسم يوحنا المعمدان، فسرقوها وحولوها جامعا لهم.

ملاحظة: العباسيون، الذين لا يقلّون تحضّراً عن أخوتهم من بني أميّة، حوّلوا ذلك الجامع، حين دخلوا دمشق، إلى اسطبل لحيواناتهم!

هل هي صحوة؟

٢ - الشرع:

يحمل الإسلاميون سيف شريعتهم الدموي حيثما يحلون، يريدون أن يهووا به على كلّ رأس يفكر بغير طريقتهم المحنطة. - لماذا؟ لأنهم يعتقدون أنّ هذه الشريعة ذات مصدر إلهي: ومن ذا البشري الذي يستطيع معارضة الإلهي؟! لكن هل يكفي الاعتقاد بحقيقة شيء حتى يصبح هذا الشيء حقيقيا؟ لا! الاعتقاد بأن شيئا حقيقي وكون شيء حقيقيا بالفعل مسألتان غير متطابقتين على الدوام! من هنا، فنحن نعتقد أنه لا مانع أن يطبّق المرء على ذاته شريعة يعتقد أن مصدرها إلهي، لكننا سنمانع بشدّة سعيه لتطبيقها على غيره، خاصة إذا كان يفتقد الأدلة الحسية على صحّة اعتقاده!

بالمقابل، فنحن نمتلك أدلّة كثيرة ليست في صالح ما يُزعم بشأن إلهية مصدر تلك الشريعة. وإذا ابتدأنا بالدليل الداخلي، نقول: لقد أظهر العمل الإثنا عشري الشيعي الهام، *النص والاجتهاد*، دون لبس، أن رموز الإسلام الأوّلي، كعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعائشة بنت أبي بكر، خالفت الشريعة على نحو فاضح! ونحن » نعتقد « أنهم لو كانوا » يعتقدون « بألوهية مصدرها

لما خالفوها! أمّا دليلنا الخارجي، فيقول: إنّ الجانب التشريعي في الدين المقارن يظهر لكل ذي عقل أن الشريعة الإسلامية مأخوذة بالكامل تقريبا عن أختها الكبرى، الهالاخا اليهودية.

هل هي صحوة؟

٣ - العقيدة:

ما يصحّ على الشريعة يصحّ أيضاً على العقيدة. وكان ابراهام غايغر من أوائل الذين أشاروا إلى الأصل اليهودي للعقائد الإسلامية في كتابه الطليعي، *ماذا أخذ محمد عن اليهودية؟*؛ وجاء بعده شباير الذي فصّل ذلك بدقة في عمله الهام، *الحكايا الكتابية في القرآن*، الذي نشرنا بعضه تحت عنوان، *القصص الديني*، فأقام دنيا المسلمين ولم يقعدها؛ وصودر في كل الدول العربية، عدا لبنان!

علميا، يكفي البرهان على زيف جانب بسيط من العقيدة حتى يتسلل الشك إليها كلها. وفي *القصص الديني* بدا واضحا للغاية أنّ تفاصيل خلق العالم والعائلة البشرية الأولى مأخوذة عموما عن الهاغاداه اليهودية. ولا نعتقد أن هنالك مسلما عاقلا واحدا يمكنه أن يقرّ بالمصدر الإلهي للهاغاداه. لكن هذا الوضوح يصل إلى قمته في حكاية النبي ابراهيم الإسلامية المأخوذة بتفاصيلها المملة عن سفر *معاسه أبراهام* الهاغادي. مع ذلك، ثمة سؤال »علمي« يطرح ذاته بإلحاح مزعج هنا: كيف يمكن للإله، الذي أوجد البشرية منذ ملايين السنين، أن يسمّي كائناته البشرية الأولى بلغة (-العبرية!!!-) لا يتجاوز عمرها ألوف السنين؟ ولماذا »تحديدا« لغة هذا الشعب المفضّل على العالمين، دون غيرها من لغات الشعوب الحضارية؟ هنا يقفز إلى صدر الصورة سؤال أكثر إزعاجا وإبغاضا: كيف لم يأتِ إلى هذا الوجود يوما رجل دين مسلم استطاع تحرير عقله والتساؤل عن الحقيقة التاريخية الكامنة خلف قصّة خلق العالم والعائلة الأولى

العقائدية، التي لا يخفى طابعها الأسطوري؟ يبدو أن سيف التكفير الإسلامي الأشهر يهدّد العنق مانعاً الرأس عن أية حركية فكرية!

مستقبل العقل... والإنسان!

لا يمكن لهذا الوضع أن يدوم، وسينتهي مع انتهاء النفط وسيطرة البدو على العقل في المنطقة. وستجتاح العولمة رغم كل شيء، شبكات ال عناكب نصف المهترئة، ولن يستطيع سيف قديم ملطخ بآثار الدماء منع التقنيات الحديثة عن نقل ما تشاء من أفكار إلى تلك العقول المحنّطة! - فما هي صورتنا للإسلام، إذا تسللت كل تلك المحظورات إلى دواخلنا، دون خوف أو وجل؟

مما لا شك فيه أنّنا، حين نتكلم عن الإسلام، فنحن نعني بذلك طبعاً الإسلام السني - الأشعري، المقولب، الذي أقفل في وجه ذاته كلّ أبواب اجتهاده (- اعتقل عقله بذاته -) منذ أيام الخليفة الأسوأ سمعة، المتوكل على الله العباسي! الإسلام السنّي — الأشعري، دون مواربة أو مداورة، يحمل في داخله جرثومة مقتله. وإذا كانت السيوف حمت هذا التيار الإسلامي الأعرض - للأسف - من أن ينقرض بفعل احتكاكه مع التيارات الأخرى، إسلامية كانت أم غير إسلامية، فإن انتهاء مفعول السيوف (- لم تعد تستعمل إلا في الرقص الشعبي -) وتهاوي المصادرات أمام العولمة، سيجعل من الإسلام السنّي-الأشعري أحد المذاهب التي ستنقرض حتما في القرن القادم، مع أخته الكبرى، اليهودية الأرثوذكسية. ولا نشك للحظة أن عموم السنّة الشعريين سينتهون إمّا إلى مذهب إسلامي آخر أو كعلمانيين أو إلحاديين. قد تظل هنالك جزر سنية أشعرية معزولة في هذا المكان أو ذاك؛ لكن تلك المناطق ستكون محدّدة بالشعوب المعاقة فيزيولوجيا عن صيرورة

التفكير؛ وهكذا تتّحد الإعاقة الفيزيولوجية بالإعاقة الدوغماتية ليتولد بالتالي أصلب العقائد سكونية فكريا وأعصاها على الصيرورة حركيا، وخير أنموذج على ذلك إسلام السودان الحالي. بكلمة واحدة: سيصبح الإسلام في القرن القادم، على الأرجح، دين الزنوج القومي!!!!

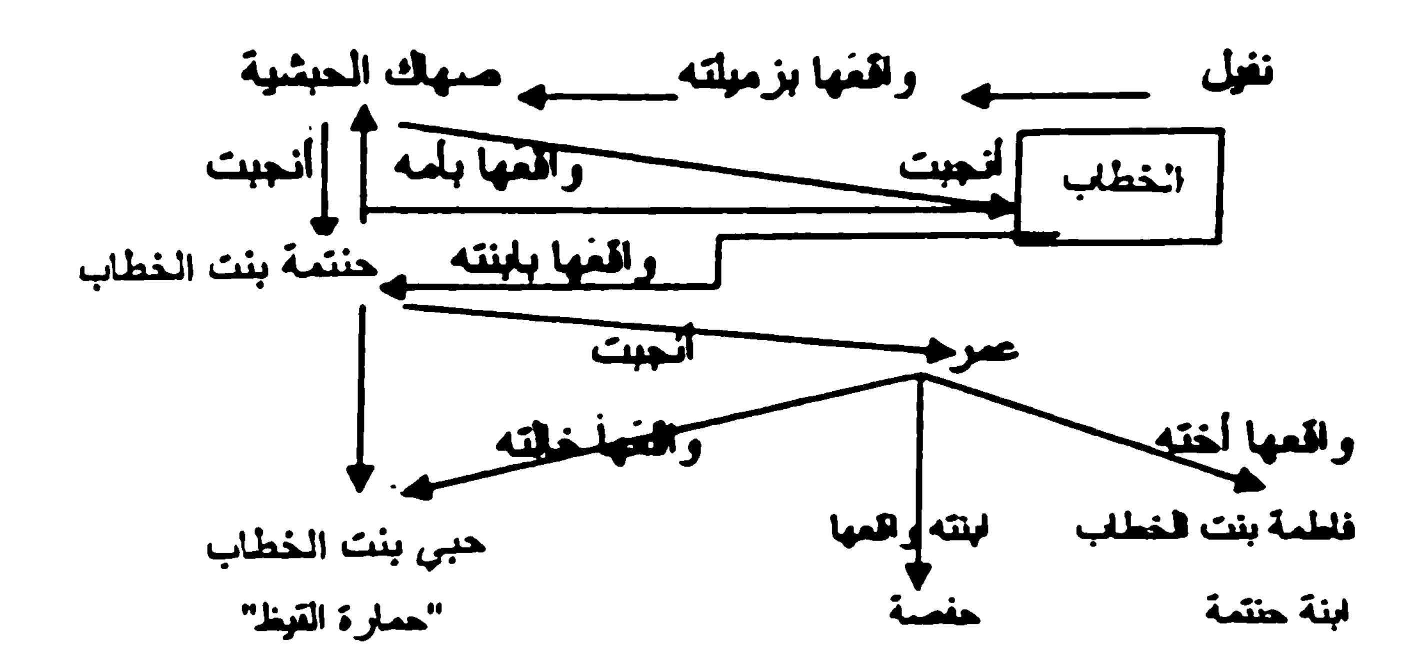
هذا لا يعني أنّ الإسلام كلّه في طريقه إلى الانقراض من عالمنا في القرن القادم: ثمة تيارات رائعة داخله، قابلة للحياة إلى «ما شاء الله»: وعلى رأسها تقف الإسماعيلية النزارية القاسمية، التي لا تمانع أبدا عن التضحية بالنقل على مذبح العقل. قد تنافس العلوية الإسماعيلية في صراع البقاء؛ لكن نجاحها مشروط بتحرّرها من الأصولية الإثني - عشرية. من ناحية أخرى، فالاثنا عشريون الذين تشاءمنا كثيرا بشأن مستقبلهم مع ظهور التيار الخميني ذي التوجه المغرق في الأصولية بينهم، أعادوا إلينا بعض الأمل بفضل ما نراه ونلحظه من تفتّح لبراعم العقلانية في حقولهم - خاصة في لبنان وإيران...!

صدق الشيخ محمد عبده: أنتم العرب مسلمين ولستم بإسلام

هاهو محمد بن أبي بكر خُلق وهو مؤمن بالله سبحانه وتعالى فعليه السلام. أما أنتم الخلفاء كنتم تعبدون الأصنام فجاء النبي "ص" فأجبركم على الإيمان بالله سبحانه فتمسكتم بالله سبحانه وبنبيه محمد "ص" فهنا " رضي الله عنكم" . أما أهل بيت رسول الله خلقوا وهم مؤمنون بالله سبحانه وبكتابه وبنبيه محمد "ص" فهنا " عليهم السلام، وأنبياء الله عليهم السلام.

هنا أنتم الخلفاء الثلاثة " رضي الله عنكم" ؟!!!

١- هل حضرتم تشييع دفن الرسول؟!!!
٢- فكيف لكم الخلافة ؟!!!
٣- هل هذه الوثائق تبقى مخفيه عن البشرية
" واقعها وضاجعها وجامعها وناكحها وتمتعت بها " ؟!!!



راجع كتاب " التاريخ الأسود لابن صهاك الأمرد"



5 $
دار كوفان / لندن